مفتاح السعادة

في سعة العمر والرزق والزيادة * المشتملة على تحقيق مهمات من مسائل علم الكلام * كالايمان وخلق افعال البشر * والقضاء والقدر * بالكمال والتمام * تأليف العالم العامل * والمحقق الفاضل * والمدقق الكامل * الاديب الالمعي * والاريب اللوذعي * صاحب المكرمه * شعار زاده الشيخ محمد ضياء الدين افندي ابن الشيخ يحيى افندي القادري الحاتمي الموصلي * نفعنا الله بطول حياته * وافاض علينا من بحر فيوضاته * ولا برح محلا للافادة * وملجأ للاستفادة * امين

مفتاح السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدالله استفتح اقفال الاسرار * وبشكر الله استمنح فيض الانوار * وبمدحه استوضح كشف الاستار * وبثنائه انثنى عن جميع الاغيار * فقد اقتضت ذاته حمده * وحجب عن ادراكها عبده * وبين له ضلاله ورشده * (ثم قضى له اجلا واجل مسمى عنده) * احمده حمداً لايحيط به حدّ * ولاينتهى به عدّ * ولايحذو حذوه احد * استزيد به جلائل النعم * واستمطر به سحائب الجود والكرم * واستفتح به ابواب السعادة * وسعة العمر والرزق والزيادة * واستفيض به من المبدأ الفياض * بلوغ جميع المقاصد والاغراض * وعلى اول مضمر مستتر فى الذات * وآخر مظهر برزت فيه الاسماء والصفات * محمد الذى به خرج الممكن من كتم العدم * وضحك عن ثغر الوجود وابتسم * اسنى صلات صلوات * بها اتوصل * الى غاية كل مقصود ومؤمل * وازكى سلامة تسليمات * بها اسلم * من شرّ القضاء المبرم * وعلى آله اهل الهدى والسداد * واصحابه المقتصدين فى الاعتقاد * اما بعد * فان اعظم العلوم مقداراً *

(واجلها)

واجلها شأنا * واعلاها منارا * وارجحها ميزانا ومعيارا * علم العقائد الذى به تحل مشكلات الحقائق * وتنفل معضلات الدقائق * اذ به يتوصل الى معرفة مايجب للحق * وما يمتنع عليه من صفات الخلق * بل هو الوسيلة العظمى * والذريعة القصوى * فى تحقيق مسئلة القضاء والقدر * التى غرقت فى لجج بحارها افكار اولى النهى من البشر * وفى اثبات ان الله تعالى فاعل بالاختيار * منزه عن الاضطرار * متصرف فى الارزاق والآجال والاعمار * يمحو ما اثبت ويثبت ماحى من الآثار * وفى نفى الجبر المحض عن افعال العباد * ووجوب الاقتصاد فى الاعتقاد * وقد رأيت هذه المباحث الشريفة مشتملة على فوائد جمة * وعقائد مهمة * فلاح لى ان اقتبس انوار تلك الحقائق * واشعة تلك الدقائق * ولطائف هاتيك الرقائق من مصباح مشكاة الآيات القرآنية * واقتطف ازهارها من رياض الاحاديث النبوية * والتقط درر فوائدها من فرائد الادلة العقلية * وان اضيف اليها مما سنح لفكرى الفاتر * ولاح لنظرى القاصر * ماتقر به اعين البصائر * وتنشرّ به السرآئر * وينشرح به الخاطر * وتحلى به اجياد الانظار * وتنصقل به مرايا الافكار * ويجلى به عن عيون العقول الاغبرار * تمهيدا لما يجب على الخلق من الحق ان يعتقدونه * ويقفون عند حدّه ولا يعدونه * وايفاء بعهد ﴿ واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ وحذرا من انقطاع العمل بعد الموت * وطمعا فى ورود احد المناهل الثلاثة قبل الفوت * وانا اذذاك مقيم فى الاستانة العلية * مركز دائرة السلطنة السنية * التى ازهرت رياض جمالها * فزهت على سائر الاقطار والامصار والبلدان * وشرفت بقاعها فحق لترابها ان يكون اثمدا تكتحل به العيون والاجفان * كيف لا وقد تقدست بوطىء اقدام مولانا سلطان

سلاطين الوقت والزمان * ومليك ملوك العصر والاوان * مظهر اسرار
(ان الله يأمر بالعدل والاحسان) ظل الله الظليل في الارض * وسيفه
الصقيل الذى مهد طولها والعرض * ونائب نبيه صلى الله عليه وسلم
الذى اقام المندوب والسنة والواجب والفرض * المجاهد في الله حق جهاده *
والقائم بحقوق الله تعالى وعباده * والمعلن الحق في سائر اقطاره
٢ جده نسخه وبلاده * والمشمر في مرضاته تعالى ساعد زنده ٢ واجتهاده *
والموري في اعلاء دينه بحصاة همته قداح زنده * والمروج لسوق
٥ غب نسخه العلم بعد كساده * والمصحح مزاج الفضل بعد ٥ فساده * من قصرت
همة الدهر دون طويل باعه * واستمد الاكليل من تاجه والذراع من
احمصيه وذراعه * بل تعالت على هام الثريا مآثر همته * لاشك وشوكته *
واستحكمت في ضمائر الكون احكامات حكمه وحكمته * وتلألأت
في جبهة الدهر غرة سلطنته * واشرقت شمس الهدى من سنى طلعته *
وتعطرت انفاس الزمان بعبير شذى انفاسه القدسية * وارتاحت ارواح
العوالم بروح ريحان شمائله الملكوتية * حيث ملأ اقطار الارض عدلا
وجودا وكرما * وعم البرية فضلا واحسانا ونعما * وايد الشريعة الغراء *
والملة الحنيفية البيضاء * وشيد اركانها اى تشييد * وسدد احكامه بمحكمات
التنزيل فهي لعمرى تنزيل من حكيم حميد * فلقد قصر في مديحه
لسان مقالى حيث قال

شمس مآثره كالشهب اذ نظمت * بسلكه في عقود دونها الحكم
كأن اوصافه الحسنى اذا نظمت * عقد الثريا بسلك الصبح منتظم
وصورة الحق في افكاره طبعت * مثل المرايا بها الاشكال ترتسم
كما برزت مضمرا في الكون مستترا * قد اختفت دونه الاكدار والظلم
ترفع الكون بعد الخفض اذ نصبت * فوق السماك له الرايات والعلم
قامت بهمته الاحكام والتحمت * كذاك امر الدنا والدين يلتحم

عمت جميع الورى اقسام نعمته * بشراى ان خصصت منه لى القسم
فى كل شأن مهم جل مطلبه * تسمو على الفلك الاعلى له همم
فياله غرة بين الملوك بدا * سيمائها فى جباه الدهر يتسم
كل الملوك اذا ما سل صيقله * دانت له منهم الهامات والقمم
لقد رعى المصطفى حقا بذمته * ان المليك لترعى عنده الذمم
وقد ملا الارض قسطا والسماء تقى * ففضله فى السما والارض محترم
لذاك قد بهجت فى نور طلعته * لما بدا الفرقتان العرب والعجم
تعز الملك فى شأواه حين غدا * فخرا لاهل النهى تنهى له الحكم
غوث وغيث للهوف ومفتقر * به الردى والندى يمحى ويغتنم
عزت مناقبه جلت مواهبه * عن ان يحيط بها القرطاس والقلم
وجوهر الفرد فى معناه منحصر * لكونه مفردا اذ ليس ينقسم
وخطة الحد ضاقت عن احاطته * فى مدحه وكذا الاشكال والرسم
قرة اعين العالمين * وبهجة قلوب العالمين * ذى الشوكة والعظمة والجلالة
والمهابة حضرة السلطان ابن السلطان ابن السلطان * والخاقان ابن
الخاقان ابن الخاقان * السلطان الغازى ﴿عبد المجيد﴾ خان * بن السلطان
الغازى عبد المجيد خان * بن السلطان الغازى محمود خان * ابد الله دولته
وايد سلطنته الى انقضاء الزمان * وانتهاء الدوران * ولا زالت اعلام
خلافته على رؤس الاعوام منشورة * وما ثر دولته على صفحات الايام
باقلام النور مسطورة * ورايات جلالته متصلة بهامى الشمس والقمر *
والوية مهابته منعقدة بمعاقد الفتوح والنصر والظفر * ماهب نسيم
ونشا * ودب وليد ومشى وانتشى * واسفر الصبح وادبر العشا * وتلا تال
من صميم الفؤاد والحشا * بلسان التضرع والاختشا * بادشاهم شوكتكله
جوق بشا * وهذا دعاء منصوص * من جميع العموم ومن العبد بالخصوص *
آمين سيما وقد اشار الى من لا يساعدنى الا موافقته * ولا يوافقنى الا
مساعدته * الحائز قصبات السبق * فى الفتق والرتق * والراقى الى اقصى

المعالى على جناح البرق * البحر الطامى * الذى استجدى الغيث الهامى * من روائق مكارمه وعطـاياه * والغصن النامى * الذى استعار نسيم الصبا من الطاف شمائله وسجاياه * شعر * كريم متى امدحه امدحه والورى * معى واذا مالمته لمته وحدى * صاحب العطف والعطوفة * والشمائل الشريفة اللطيفة * حضرت سعدى بك افندى * حفظه الله تعالى من كل مايردى * ولازال مصدرا للعلمآء الاعلام * ومورداً عذبا يرده الخـاص والعام * والمورد العذب كثير الازدحام * فعند ذلك اوردت جواد يراعى افواه المحابر * واطلقت عنانه فى ميدان الطرس فطفق يجرى فيسابق الخاطر * فجاءت بحمدالله تعالى رسالة جامعة مانعة * وارجو من فضـل ربى ان تكون نافعة * وان يجعل اغصانها نامية * واثمارها دانية * وقدسميتها نفؤلا مفتاح السعادة * فى سعة العمر والرزق والزيادة * والمرجوّ من فضل من عثر على شئ زلت به اقدام الافكار * وكبابه جواد الانظار * ان يدرئه بالتى هى احسن * وان يحمله على وجه حسن مااامكن * فانه لا يخلو عن الخلل والزلل * سوى كتاب الله المنزل * وحديث نبيه المرسل * صلى الله عليه وسـلم وبالله التوفيق * وبيده ازمة التحقيق * وهو حسـبنا ونعم الوكيل * ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * فاقول وبحول الله اصول هذه الرسـالة مرتبة على مقدمة وثلاثة ابواب وخاتمة * فاما المقدمة ففى تعريف الدليل وتقسيمه وبيان شرائطه وتقديم بعض افراده على بعض عند التعارض وانما كانت هذه الامور مقدمة فى هذه الرسالة لان المقصود الاصلى منها بيان ان العمر والرزق هل يقبلان الزيادة والنقصان ام لا وان السعيد هل يمكن ان يكون شقيا وبالعكس ام لا وان ما اثبت فى اللوح المحفوظ هل يجوز محوه ام لا بخلاف العلم الازلى والصحف التى فى ايدى الملائكة فان المحو والاثبات فى الاول محال عند عامة اهل

السنة خلافا للرافضة وفى الثانى جائز عند الكل ومعرفة ذلك كله تتوقف على معرفة تلك الامور والمتوقف عليه للشئ يكون مقدمة له على كل معنى من معانى المقدمة * فان قلت ان اهل الاصول قد بحثوا عن حقائق الأدلة واستوفوا اقسامها وشرائطها وبينوا ترجيح بعضها على بعض عند التعارض على اكمل وجه فلم يحتج الى مثل هذه المقدمة فى مثل هذه الرسالة * قلت نعم لكن كتب الاصول * يصعب اليها الوصول * لكثرة ذكر الاختلافات الموجبة لبعض الاطناب والتطويل الذى ربما يوجب الملل * ويورث الكسل * لاصحاب الهمم القاصرة والسعى القليل * فانا اخذت ملخص ما فيها مما يحتاج اليه فى هذه الرسالة على وجه يسهل اخذه على الناظر * ويسرع لتلقيه الخاطر * والا فالناظر فيها ان قدح زند الاجتهاد * اقتبس اشعة ما اراد * من غير احتياج الى هذه المقدمة التى لا تشفى كل عليل * ولا تبل كل غليل * اذا عرفت هذا فاعلم ان الدليل ما يمكن ان يتوصل فيه الى حكم جازم او غير جازم بناء على اطلاقه على ما يعم الامارة وقد يطلق على ما يقابل الامارة فيقال ما يتوصل فيه الى حكم جازم فقط * وانما اخذنا قيد الامكان * لئلا يخرج عنه الافراد التى ما توصل بها الى الآن * بل ربما لا يتوصل بها فى سائر الازمان * مع انها منه لدى العيان * وههنا سؤال وجواب لاحا للفقير * فى اثناء التحرير * فنظمتهما فى سلك التقرير * وهو أن يقال ان المعرف الذى هو الدليل تتوقف معرفته على معرفة كل جزأ من اجزاء تعريفه ومن جملة الاجزاء الحكم الذى هو المدلول ومن المعلوم ان المدلول تتوقف معرفته على معرفة الدليل فاذا توقف معرفة الدليل على الحكم الذى هو المدلول ومعرفة المدلول على الدليل لزم الدور * والجواب ان المتوقف عليه للدليل هو الحكم الملحوظ من حيث كونه حكما فقط وهو اسناد امر الى آخر ايجابا اوسلبا كما هو عند

المنطقيين او خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين كما هو عند الاصوليين اعنى مفهوم الحكم لا افراده الخارجية الملحوظة باوصاف خارجة عن حقيقته التى بمجرد ملاحظتها يمايذهل الذهن عن كونها حكما والمتوقف على الدليل هو هذه الافراد الخارجية الملحوظة بتلك الاوصاف لا الحكم الملحوظ من حيث كونه حكما فالمتوقف غير المتوقف عليه فلا دور وبهذا يجاب ايضا عن اشكال آخر وهو أن المدلول خارج عن الدليل اذ النتيجة غير المقدمات فكيف وقع جزأ من الدليل فيقال الجزء مفهوم كلى ملحوظ من حيث هو اشتمل عليه مفهوم كلى اشتمال الكل على الجزء والخارج عن الدليل هو فرد خارجى دل عليه فرد آخر فالداخل غير الخارج وينقسم الى قسمين نقلى وعقلى فالنقلى ماتوقف بجميع مقدماته او بعضها على نقل وسماع من المخبر الصادق والعقلى مالايتوقف بشيء منها على ذلك وكل منهما ينقسم الى قطعى وظنى فالقطعى ما افاد حكما لا يحتمل النقيض والظنى بخلافه وقد يستفاد من النقل لمعرفة القرائن القطع كما فى ادلة وجوب الصلاة مثلا فان الصحابة علموا معانيها المرادة بالقرائن المشاهدة ونحن علمناها بواسطة نقل القرائن الينا تواترا ومن شروط التوصل فيه الى الحكم مطلقا ان لايقوم القاطع على خلاف ما اقيم هو عليه انكان قطعيا ولاالظنى المساوى بالقوة الذاتية اوالعرضية ان كان ظنيا وهذا هو معنى التعارض واما قيام الظنى على خلاف ما اقيم عليه القطعى وبالعكس وكذا قيام الظنى الاضعف بالذات على خلاف ما اقيم عليه الاقوى بالذات فليس بتعارض اذ الاضعف بالذات لايعادل الاقوى بالذات ولا يقاومه ليكون تعارضا وانما قيدنا الاضعف والاقوى بكونهما بالذات لان الاضعف بالوصف يعارض الاقوى فيه لانه يعادله ويقاومه نظرا الى الظاهر ٢ وسنورد لك الامثلة مفصلة لتتطبع فى مرآة فكرك الصورة * وترتسم فى عين البصيرة *

٢ قيد بالنظر الى الظاهر لانه بالنظر الى الحقيقة لايقاومه والا لم يرجح عليه سهد

ثم التعارض يجرى فى الادلة النقلية والعقلية قطعية كانت اوظنية سواء قلنا ان النقلية قدتكون قطعية كما تكون ظنية كما هو الصحيح وعليه الجمهور اوقلنا ان النقلية لاتكون قطعية كما ذهب اليه البعض بناء على انها وان كانت قطعية الثبوت كالاخبار المتواترة الا انها لاتمكن ان تكون قطعية الدلالة اذاحتمال التجوز والاشتراك والتخصيص وغيرها من الاحتمالات العشرة المشهورة قاطع للقطعية وردبان احتمالا غير ناشئ عن دليل لاتعتد به العقول كما فى الادلة العرفية والعلوم العادية والا فلايجوز أن تؤخذ عقيدة من كتاب وسنة * لقيام تلك المظنة * مع وجوب اخذها منهما بحكم قوله تعالى ﴿ وهذا كتاب مبارك فاتبعوه * وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ هذا على مذهب بعض اهل الاصول وحققه ابن كمال الوزير وذهب صاحب التنقيح والمرآة ومن تبعهما الى ان التعارض انما يكون فى الادلة الظنية فقط دون القطعية لامتناع وقوع المتنافيين اذلايتصور الترجيح لانه فرع التفاوت فى احتمال النقيض ٧ والجواب عنه بان التفاوت قديكون بشرط او زمان اوغير ذلك من الجهات التى لا يتحقق التناقض الا باتحادها فكيف لا يتصور الترجيح ٨ ليس بشئ لان الدليلين حينئذ ليسا بمتنافيين بالذات اذلم يرد الايجاب والسلب على شئ واحد وذلك شرط تحقق التناقض بل الجواب ماأجاب به ابن كمال الوزير وهو أنه كما لا يتصور الترجيح بين القطعيين لامتناع وقوع المتنافيين لايتصور بين الظنيين المتساويين لهذه العلة بعينها فلم حكمتم بجواز التعارض بين الظنيين المتساويين دون جوازه بين القطعيين مع انهما مشتركان فى علة عدم تصور الترجيح غاية مافى الباب انه يترك الاخذ بكل من الظنيين كما يترك بكل من القطعيين فالفرق تحكم * واقول الحق انه ان اريد بالتعارض ماهو فى الواقع فقط فلا يمكن وقوعه بين الظنيين المتساويين كما لايمكن وقوعه بين القطعيين قطعا وان اريد به ماهو اعم مما هو فى الواقع اوفى

٧ مبتدأ

٨ خبر مبتدأ

حكم الحاكم كما يدل عليه حكمهم بوقوع التعارض بين الظنيين المتساويين مع انه لايجوز وقوعه فى الواقع فيقع بين الكل لان الحكم قد لا يطابق * والتعارض ورود دليلين مطلقا يقتضى احدهما عدم مايقتضيه الآخر لعينه قيد بكونه لعينه ليكون السلب واردا على ماورد عليه الايجاب فلا حاجة الى اشتراط اتحاد الجهات التى يغنى عن اشتراطه هذا القيد لاستلزامه اياه وله ثلاث صور كلية ترجع اليها سائر الجزئيات احداها ان يكونا متساويين سواء كانا من الكتاب او السنة المتواترة او المشهورة او خبر الآحاد قال ابن كمال الوزير فى تنقيح التنقيح ولا فرق بين السنة المتواترة والمشهورة لانهما قطعيان انتهى وهو خلاف ماعليه اهل الاصول وحكم المتعارضين حينئذ الجمع بينهما ان امكن بان يحكم بتغاير الحكم فيهما بجهة من الجهات التى هى شرط فى اتحاد الحكم فيندفع التعارض وذلك مثل قوله تعالى فى حكاية قول نوح عليه السلام لقومه ﴿ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر﴾ فقوله تعالى ﴿ويؤخركم الى اجل مسمى﴾ يدل على ان الاجل يقبل التأخير وقوله تعالى ﴿ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر﴾ يدل على انه لايقبله وهل هذا الا تناقض فيدفع التناقض ويجمع بينهما بان يقال الاجل الذى يقبل التأخير الاجل الذى قدره الله تعالى على تقدير المعصية لانه قد يؤخر بالطاعة والاجل الذى لايقبله الاجل الذى قدره على تقدير الطاعة فما ورآء عبادان قرية او يقال الاجل الذى يقبل التأخير هو المثبت فى اللوح فيجوز أن يمحى ويثبت له ٢ التأخير والاجل الذى لايقبله هو الامد المضروب فى الازل الذى تعلق به العلم الازلى بانه عند حلوله يقع لامحالة او يقال ٣ الاجل الذى يقبل التأخير الاجل المطلق الذى يقتضيه الاستعداد طبعا بحسب هويته المسمى اجلا طبيعيا بالنظر الى نفس ذلك المزاج الخاص والتركيب المخصوص بلا اعتبار

٢ اى للانسان منه

٣ هذا وماقبله اشارة الى فقد اتحاد الموضوع فاندفع التناقض منه

عارض من العوارض الزمانية والاجل الذى لا يقبله هو الاجل المقدر الزمانى الذى يجب وقوعه عند اجتماع الشرآئط وارتفاع الموانع المثبت فى كتاب النفس الفلكية التى هى لوح القدر المقارن لوقت معين ملازماله ٣ او يقال الاجل يقبل التأخير بشرط الطاعة الاجل لايقبل التأخير بشرط المعصية ٤ او يقال الاجل يقبل التأخير قبل حلوله الاجل لا يقبل التأخير عند حلوله وسيجئ لهذه المباحث زيادة تحقيق ان شاء الله تعالى وان لم يمكن الجمع بينهما صير من الكتاب الى السنة لقوله تعالى ﴿ وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ ومنها الى قول الصحابى لانه اعرف بمواقع الكلام واكثر تصفحا لاحوال سيد الانام عليه الصلاة والسلام فيفهم القصد والمرام وفى هذه الصورة تعارض ولاترجيح على ماهو الصحيح لانه ان اخذ باحدهما دون الآخر لزم الترجيح ولا رجحان * او بهما اجتمع الضدان * اولم يؤخذ بشئ منهما ارتفع المتعاندان * مثلا الآية المتقدمة على تقدير عدم الجمع نصير منها الى قوله عليه الصلاة السلام ﴿ الصدقة والصلة يعمران الديار ويزيدان فى العمر ﴾ ومثال المصير من السنة الى قول الصحابى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ الصدقة على وجهها وبر الوالدين واصطناع المعروف يحول الشقاوة سعادة ويزيد فى العمر ويقى مصارع السوء ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ يمحوالله مايشاء ويثبت الاالشقاوة والسعادة ﴾ نصير منهما الى قول عمر رضى الله تعالى عنه وابن عباس وابن مسعود رضوان الله عليهم فى قوله تعالى ﴿ يمحوالله مايشاء ويثبت ﴾ يمحو مايشاء من الاجل والرزق وكذا الايمان والكفر والسعادة والشقاوة فان قلت لم تعتبر نسخ احدهما الآخر اذا علم التاريخ كما اعتبره اهل الاصول قلت لان مطلبنا هذا من قبيل الاحكام الشرعية الاعتقادية التى يمتنع رفعها فى وقت من الاوقات بخلاف الاحكام الشرعية العملية التى هى

٣ هذا اشارة الى فقد اتحاد الشرط منه

٤ هذا اشارة الى فقد اتحاد الزمان منه

مطلب الاصوليين فان النسخ واقع فيها بالاجماع * فان قلت كما لايجرى النسخ فى الاحكام الشرعية الاعتقادية لاتجرى فى ادلتها الاحكام المذكورة فى هذا المقام مما عدا الجمع من الصور الثلاث ٣ لانهم خصوا هذه الاحكام بادلة الفقه الذى هو العلم بالاحكام الشرعية العملية فاخرجوا بقيد العملية الاحكام الاعتقادية عن الحد * قلت لانسلم انهم خصوها بادلة الفقه كيف ولو خصوها بها لما تعلق ترجيح بدليل فى سائر العلوم اذ وجوه الترجيح منحصرة فى هذه الصور الثلاث واللازم باطل فكذا الملزوم وايضا انهم انما اخرجوا بقيد العملية نفس الاحكام الاعتقادية عن نفس الاحكام العملية لا الاحوال التى تعرض لادلة الاحكام الاعتقادية عن الاحوال التى تعرض لادلة الاحكام العملية اين هذا من ذاك واما ذكر هذه الاحوال والتفحص عنها فى علم الاصول دون غيره فلانها من وظائفه اذهو المتكفل ببيان الادلة واحوالها دون غيره والمنطق متكفل بالادلة العقلية دون غيرها فتأمل * الصورة الثانية ان يكون احد الدليلين اقوى بوصف ذاتى وفى هذه الصورة لامعارضة ولاترجيح فلا يقال النص راجح على القياس مثلا * الصورة الثالثة ان يكون احدهما اقوى بوصف تابع عرضى وفى هذه الصورة تعارض وترجيح والترجيح فيها اما من جهة المتن كترجيح المحكم على المفسر والمفسر على المجمل والنص والنص على الظاهر والحقيقة على المجاز والصريح على الكناية والعبارة على الاشارة والاشارة على الدلالة اذا تساويا رتبة ٧ واما من جهة السند وهو اما باعتبار الراوى ككونه مزكى بالاختبار ومعروف النسب ومشهوره ومعروف العدالة والرواية ومشهورها وككونه اعرف بمواقع الكلام واكثر تفحصا عن احوال سيد الانام صلى الله عليه وسلم فيرجحون على من لم يكن فى درجتهم واما باعتبار الرواية كترجيح الصحيح على الضعيف والمسند على

٣ انما استثنى الجمع من الصور الثلاث للاتفاق على جريانه فى جميع الادلة فى سائر العلوم فلم يمكن انكاره منه

٧ راجع الى الكل منه

المرسل والمرفوع على الموقوف واما باعتبار المروى كترجيح المسموع من النبي عليه الصلاة والسلام على مايحتمل السماع وكترجيح الاكثر طرقا على الاقل واما باعتبار المروى عنه كترجيح مالم يثبت انكار من احد الرواة لروايته على ماثبت انكار لاحدمنهم ويعتبر فى زماننا كما قال ابن السبكى الرجوع الى ائمة ذلك واما من جهة امر خارج كترجيح ماكان اقرب للدليل العقلى على الابعد ووجوه الترجيح كثيرة لاتكاد تضبط وفيما ذكرناه كفاية لمن تأمل به ولنشرع فى المقصود فنقول وبالله المستعان ﴿الباب الاول﴾ فى الآيات القرآنية الدالة على جواز تأخير الاجل وفى كيفية الاستدلال بها مع ما يعضدها من الادلة النقلية والعقلية ومايعارضها منها والجواب عن كل منها الآية الاولى قوله تعالى ﴿هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون﴾ ولنتكلم اولا على تفسيرها بما هو الاحرى من التأويل والاليق بشان التنزيل مع بيان بعض المعانى اللغوية التى يحتاج اليها فى هذا المقام ودفع الشبه التى ربما تعرض لبعض الافهام لتدور رحى الاستدلال على التحقيق وتلفظ من فمها كل معنى دقيق فنقول وبالله التوفيق لماساق سبحانه وتعالى الآية السابقة ٢ لبيان بطلان اشراك المشركين به مع معاينتهم مايوجب توحيده من الدلائل القاطعة لعرق الشركة كخلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور عقبها بسوق مايليها لبيان بطلان امترائهم بالبعث مع مشاهدتهم فى انفسهم من الشواهد الحسية مايقطع مادة ذلك بالكلية استبعادا لعقولهم الفاسدة واستبداعا لعقائدهم الكاسدة وتوبيخا لهم بابلغ عبارة والطف اشارة وذلك انه سبحانه وتعالى دمغ اباطيلهم باقرب مايشاهدونه عيانا ويعترفون به ايقانا وهو ابتداء خلقهم من الطين اذهم بشئون انفسهم اعرف فدلالته على المقصود اوضح والتعامى عن الحجة الساطعة اقبح قيل ولذا خصصه سبحانه وتعالى بالبحث من بين سائر ادلة البعث مع ان

٢ وهى قوله تعالى الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون

خلق السموات والارض اوضحها كما فى قوله تعالى ﴿ اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى ﴾ واقول لما كان التوحيد اقوى مراتب الايمان والايمان بالبعث من لواحقه وكان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس بل خلقهم كاللاحق لحملتها سبق سبحانه الاستدلال بالسابق على السابق * ولحق الاستدلال باللاحق على اللاحق * ايفاء بحق المقام * ورعاية لنظم الكلام * فقال سبحانه وتعالى ملتفتا من الغيبة الى الخطاب * لمزيد التشنيع والتوبيخ والعقاب ﴿ هو الذى خلقكم من طين ﴾ اى ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى للكل لخلق الاب منه اوخلق مادة اصلكم منه وهو آدم عليه السلام اواصل مادتكم منه وهى الاغذية التى منها تتكوّن النطفة اذ الغذاء اما حيوانى اونباتى والحيوانى ايضا متكوّن من النطفة المتكوّنة من الغذاء النباتى فرجع الكل الى النباتى والنبات متكوّن من الارض التى هى الطين فاصل المادة الطين وعلى كل تقدير من التقادير الثلاثة ففى الكلام تجوّز وهو على الاول فى النسبة الايقاعية وعلى الثانى والثالث فى الحذف وعلى التقدير الاول ٧ فانما علق النسبة بهم دون آدم عليه السلام مع كفاية علمهم بها فى وجوب الايمان * وبطلان الكفران * توضيحا لمنهاج القياس * ومبالغة فى ازاحة الالتباس * وتنبيها على حكمة خفية * هى ان كل فرد من الذرية * له حظ من هذا الانشاء * الذى ليس لهم فيه امتراء * حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه * بل كانت انموذجا منطويا على سائر ابناء جنسه * انطواء اجماليا * نشر آثارها على الكل نشراً تفصيليا * لان خلقه على هذا النمط البديع * السارى على الجميع * ابدع من قصره عليه وادل على الحكمة الباهرة فنسبة الخلق اليهم احرى * والله سبحانه بخطابهم ادرى * وحال المخاطبين ابتداء * اولى بان يكون معيارا وانتهاء * ثم ضم سبحانه الى بدأ الخلق دليلا آخر يترتب عليه ترتيب الفرع على الاصل تتميما للاستدلال * وتطبيقا على مقتضى الحال * فقال وهو اعظم من قال ﴿ ثم قضى ﴾ اى قدر وكتب ﴿ اجلا ﴾

٧ اى من التقادير الثلاثة وهو ابتداء خلقكم منه اذهو ابلغ تقدير كما تقف عليه الآن منه

معلوما مضروبا له غايتان غاية على تقدير الطاعة وغاية على تقدير المعصية لابد أن يبلغ الانسان احد الغايتين على احد التقديرين هذا هو المذهب الصحيح كما ستطلع عليه والقضاء يستعمل بمعنى الايجاب والالزام كقوله تعالى ﴿ وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه ﴾ اى اوجب والزم وبمعنى الاخبار والاعلام كقوله تعالى ﴿ وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ اى اخبرناهم واعلمناهم وبمعنى الخلق والتقدير كقوله تعالى ﴿ فقضيهن سبع سموات فى يومين ﴾ اى خلقهن وقدرهن فى هذه المدة وهذا المعنى هو المقصود من قضى هنا والاجل فى اللغة هو الامد المضروب لانقضاء المدة واجل الحيوان زمن بطلان حياته ويطلق ايضا على نفس المدة يقال اجل الدين شهر كما يقال آخر الشهر واصله من التأخير يقال اجل يأجل اجولا فهو آجل اذا تأخر واختلف فى المعنى المقصود من الاجل فى هذه الآية فقيل الاجل الاول هو مابين الولادة والموت والثانى مابين الموت والبعث وهو مدة البرزخ وهذا هو المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما حيث قال ﴿ ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث فى اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد فى اجل البعث ﴾ وقد رواه عنه عطاء والحاكم وصححه واليه ذهب الحسن وابن المسيب وقتادة والضحاك وكثير من المحدثين ورواه عنه ايضا الفريابى وابن ابى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم وابو الشيخ واختاره الزجاج وقيل الاجل الاول الموت والثانى البعث وهذا ايضا مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما لكنه غير مصحح عنه وقيل الاجل الاول الذى يحيى به اهل الدنيا الى ان يموتوا والثانى اجل الآخرة اى لانهاية لها ونسب الى مجاهد وسعيد بن جبير ويضعفه

ان اطلاق الاجل على مالانهاية له غير معهود فى كلامهم وقيل الاول اجل من مضى والثانى اجل من بقى ومن يأتى ونسب الى ابى مسلم وقيل الاجل الاول النوم والثانى الموت وروى عن قصى لكن اطلاق الاجل على النوم خلاف المتعارف انما المتعارف اطلاق الموت على النوم وقيل الاول ماخلق فى ستة ايام والثانى ماكان بعد ذلك الى يوم القيمة وروى هذا عن ابن يزيد الايلى لكنه يلزم منه عطف المتقدم زمنا على المتأخر بثم الموضوعة للتراخى الزمانى اذ المعطوف عليه وهو الخلق من الطين متأخر عن المعطوف وهو ماقضى فى ستة ايام وقالت الفلاسفة للحيوان اجل طبيعى بتحلل رطوبته وانطفاء حرارته الغريزيتين بحيث لو بقى ذلك المزاج مصونا عن العوارض الخارجية لانتهت مدة بقائه الى الوقت الفلانى واجل اخترامى وهو الذى يحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالقتل والحرق والغرق فهذه سبعة مذاهب اصحها الاول وعليه المعوّل اذمع مافى بعضها مما اشرنا اليه لاتناسب ماسيقت له الآية الكريمة لانه سبحانه وتعالى جمع لمنكرى البعث فى الاستدلال بين امرين رتب ثانيهما على الاول ترتيب الفرع على الاصل وهما بدأ مادة اصلهم اواصل مادتهم من طين ٩ مع مايتفرع عليه من لبثهم فى مدة حياتهم على الاوصاف التى ستذكر والاول ٢ على الاول ٣ محسوس لهم بطريق التواتر بحيث لايمكنهم انكاره وعلى الثانى ٤ مشاهد لهم بطريق الابصار كما ان الثانى ٥ على التقديرين ٦ مشاهد لهم بطريق الابصار وهو ٧ انهم بعد خلقهم المستتبع لخلق ابيهم اوبعد خلق ابيهم من الطين اوبعد خلقهم من الاغذية المتولدة منه تولدت لهم انواع الاعضاء المختلفة فى الصفة واللون والشكل مثل القلب والدماغ والكبد وانواع الاعضاء المبسيطة كالعظام والغظاريف والرباطات والاوتار وغيرها ثم ترتب على كل عضو خاصة من الخواص

٩ انما ترك التقدير الاول وهو ابتدأ خلقكم منه لانه داخل فى الثانى اوفى الثالث وانما ذكر اولا لان المقام هناك يقتضيه منه

٢ اى من الامرين منه

٣ اى على التقدير الاول وهو بدأ مادة اصلهم منه

٤ اى وهو بدأ اصل مادتهم منه

٥ اى من الامرين وهو لبثهم فى مدة حياتهم على الاوصاف التى ستذكر منه

٦ اى بدأ مادة اصلهم او اصل مادتهم منه

٧ اى الثانى المتفرع على الاول وهو لبثهم الخ منه

وقوة من القوى التى لايحصى تفصيلها وجميع هذه المواد والاوصاف تترتب على بدء الخلق ترتب الفرع على الاصل والمدة الزمانية التى يمكث فيها الانسان على هذه الاوصاف هى الاجل الاول الذى قضاه الله تعالى من بين الاجلين المقابل للاجل المسمى عنده وهو قابل للزيادة والنقصان كما فى الحديث السابق وكما سنحققه ان شاء الله تعالى فكأنه قال سبحانه وتعالى ان من قدر على افاضة الحياة * وما يتفرع عليها من الصفات * على مادة لم تشم رائحة ذلك فى وقت من الاوقات * كان اقدر على افاضتها على عين مادة قد اكتحلت بأثمد ذلك فى بعض الاوقات * فعلى هذا يكون قضاء الاجل الاول داخلا فى الاستدلال وهو اوفق لمقتضى الحال اذ الاوصاف الوجودية البديعة المتفرعة على الحياة ابدع دليل على البعث بخلاف ما اذا جعل الاجل الاول الموت فلايكون داخلا فى الاستدلال لان الموت لايدل على البعث لانه عدم بل هو منشأ لانكار البعث كما فى قوله تعالى ﴿ أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ﴾ من الدلالة على انه منشأ للانكار ويشهد للمعنى الذى قلناه تشاكل المتعاطفتين بالفعلية الماضوية وان كان العطف ثم للتباعد بين الخلق الصورى والقضاء المعنوى فقد حصل التناسب بين المفعولين ٢ معنى كما كان حاصلا بين الفعلين ٣ لفظا فتكون جميع اجزاء ٤ الدليل وجودية بخلاف ما اذا جعل الاجل الاول الموت فان بعضها يكون حينئذ عدميا واستوضح ذلك من قوله تعالى ﴿ يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر ﴾ كيف شاكل سبحانه المتعاطفات الوجودية متناسقة فى مقام الاستدلال بكل منها على البعث * ثم بعد الفراغ من الاستدلال غير الاسلوب الى اسمية الجملة فقال

٢ هما ضميركم فى خلقكم ولفظ الاجل عند

٣ هما خلق وقضى عند

٤ اى الفعلين والفاعلين والمفعولين عند

﴿ ومنكم من يتوفى ﴾ كما غير الاسلوب هنا الى اسمية الجملة عند الشروع في المدلول بعد أن فرغ من الاستدلال لما ان البرزخ ليس من الامور المشاهدة التي يمكن بها الاستدلال على وقوع غايتها وهو البعث بل هي منشأ للانكار كما مر فانظر ما اعذب هذا الاسلوب واحلى هذا النظم وابدع هذا النمط فعلى هذا جملة قوله تعالى ﴿ واجل مسمى عنده ﴾ مستأنفة عما قبلها اى الاجل الذي تجحدون ان له غاية هي البعث هو أجل محدود موقت له غاية معلومة عند الله مستأثرة في علمه لابد أن ينتهي اليها او غاية الاجل الذي تجحدون وقوعها هي معلومة عند الله مستأثرة في علمه لابد وان تقع وهي البعث ففي الكلام تجوز باعتبار الاول على الاول و بالحذف على الثاني وتنكير الاجل للتفخيم وتقديمه على خبره الظرف مع ان الشائع تقديم الخبر الظرف على مبتدأه النكرة وفاء بحق التفخيم فان ماقصد به ذلك حقيق بالتقديم فالمعنى واى اجل عنده وعندى وجه آخر وهو أنه لما كان هو موضوع الانكار والقطب الذي عليه المدار استحق الاهتمام بشانه * فقدم على اقرانه * ثم لما كان انكارهم للبعث مستبعداً جدا منحطا عن درجة الاعتبار عطفه سبحانه على ماقبله بثم فقال ﴿ ثم انتم ﴾ ايها المنكرون للبعث ﴿ تمترون ﴾ تترددون في وقوعه وتطلبون الامارة عليه مع وضوح هذه الحجج النيرة فلا تدركون قياس الغائب الاضعف على الشاهد الاقوى في ايصال القدرة اليه * والامتراء مأخوذ من مرى الضرع اذا مسحه للدر والمناسبة ظاهرة لان الممترى كما يطلب تخلص الضرع من اللبن يطلب تخلص الذهن من التردد و بعضهم قال معنى تمترون تشكون وليس بصواب لان الشك وقوع النفس بين امرين متقابلين بحيث لا ترجح احدهما على الآخر بالامارة * واما الريب فهو التوقف في الشيء ثم ينكشف وتقديم المبتدأ هنا لزيادة التوبيخ بزيادة الالتفات مع تحقيق القصر عليهم لقصور عقولهم بالنسبة

الى من لا ينكر وتوجيه الاستبعاد ثم الى الامتراء مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرّون على جحوده كما ينبئ عنه كثير من الآيات للدلالة على انجزمهم بذلك فى اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار فقد تبين مما قررناه فى نظم الآية العظيمة وشيدناه بالكتاب والسنة الكريمة ان الاجل الاول هو مابين الولادة والموت والثانى مابين الموت والبعث والاول قابل للتقديم والتاخير باعتبار النهاية والثانى قابل لهما باعتبار البداية * فان قيل هذا معارض بقوله تعالى ﴿ فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ فان هذه الآية تدل على امتناع قبول الاجل التقديم والتأخير والاولى على العكس * قلت نجمع بينهما بان المقصود من الاجل فى الآية الثانية اجل استئصالهم فى الاهلاك والمعنى ان الله تعالى امهل كل امة كذبت رسلها الى وقت معين وهو تعالى لا يعذبهم الى ان يبلغوا ذلك الوقت الذى يصيرون فيه مستحقين لعذاب الاستئصال فاذا جاء ذلك الاجل نزل ذلك العذاب لامحالة اذا كانوا باقين على التكذيب وهذا هو مذهب ابن عباس والحسن ومقاتل ولا نسلم ان المراد منه غاية عمر كل احد كيف وقد صدّرها تعالى بقوله ﴿ولكل امة اجل﴾ فذكر لفظ امة ولم يذكر لفظ احد ولئن سلم بناء على ان المقصود كل واحد من كل امة وذكر الامة فيما يجرى مجرى ٥ الواحد افخم او بناء على ان الامة الجماعة فى زمان واحد والمفهوم من حالها التقارب فى الآجال فلا نسلم انها تدل على الامتناع كيف وان الله تعالى لا يمتنع عليه مقدور ولا يجب عليه شئ لانه مختار فى افعاله غير موجب فى ذاته ولئن سلمنا الامتناع بناء على ان ما اخبر عنه تعالى بانه يقع فمحال ان لا يقع او بانه لا يقع فمحال ان يقع وذا لا ينافى الاختيار فلا نسلم انه ممتنع مطلقا بل وقت مجيئه عند اجتماع الشرائط وارتفاع الموانع كما يفصح عنه لفظة اذا الموضوعة للزمان واما قبل مجيئه فيجوز تأخيره

● الوعيد نسخه

بدعاء اوطاعة كما روى عن كعب رضى الله عنه انه قال حين طعن عمر رضى الله عنه لوأن عمر دعا الله لاخر فى اجله فقيل له أليس قد قال تعالى ﴿ فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ فقال ذلك وقت مجيء الاجل لا قبله وكما قرروه فى نكتة عطف يستقدمون على الجزاء وهو يستأخرون من ان العطف للدلالة على انه كما يمتنع تقديم ٢ الاجل اذا جاء على الوقت الذى جاء فيه يمتنع تأخيره عنه وان كان الاول ممتنعا لذاته والثانى لغيره لاشتراكهما فى مطلق الامتناع فهذا صريح فى ان المقصود بامتناع تأخيره امتناعه وقت مجيئه والافلا يمتنع التقديم كما لا يمتنع التأخير ولئن سلمنا الامتناع قبل مجيئه ايضا ورفضنا هذه الحجج الساطعة والبراهين اللامعة بناء على احتمال اسقم من طرف ليلى هو أن معنى اذا جاء اذا قارب المجيء ٣ فلا نسلمه على كل تقدير بل على تقدير عدم الدعاء والطاعة والا فيجوز تأخيره على تقديرهما ولا يمتنع كما روى احمد عن معاذ رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ﴿ لن ينفع حذر من قدر ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ﴾ فان قيل الاصل العموم وعموم الاشخاص يستلزم عموم الاحوال والازمان والبقاع وخبر الواحد لايخصص العام القطعى فيما تناوله قلنا لانسلم ان العام قطعى فيما تناوله هنا من الاحوال والازمان والبقاع كيف وقد تطرق عليه الاحتمال الناشئ عن الدليل فيخص سيما وهذا الحديث مستفيض المعنى على ان الآيات الآتية معضدة له كما ستطلع عليه ان شاء الله تعالى الآية الثانية قوله تعالى ﴿ يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ﴾ ولنتكلم على هذه الآية بما تكلمنا به على الآية السابقة فنقول وبحوله نصول لما اوهم ظاهر قوله تعالى ﴿ لكل اجل كتاب ﴾ اى حد مكتوب فى اللوح لايتجاوزه انه لايتجاوزه مطلقا فى كل وقت وعلى كل تقدير فالحياة والموت والغنى والفقر والسعادة والشقاوة لا تقبل المحو

٢ المقصود من الاجل فى هذه العبارة نفس بطلان الحياة فقط فلا يلزم ان يكون للوقت وقت فافهم منه

٣ كقولهم جاء الشتاء اذا قارب المجيء منه

والاثبات* بل لكل منها على تقدير وجوده وقت معين من الاوقات* وهذا يلزم منه تعطيل بعض الصفات *بل الايجاب بالذات* وهو نقص فى حق خالق الارضين والسموات* اذ له تعالى حضرة الاطلاق عن القيودات * محاسبحانه هذا الامر الموهوم *واثبت ضده المعلوم* بان آثار قدرته تابعة لارادته *وجميع افعاله باختياره ومشيئته *وان كل مايقع فى ملكه وملكوته *فهو منقاد بزمام سلطنته وعظيم جبروته* وان ماا وهمه الظاهر من عدم الامكان *لاينبغى ان يعول عليه انسان * اذ الامر ممكن بل واقع كل يوم هو فى شان فقال عز من قائل ﴿ يمحوالله مايشاء ﴾ اى كل شئ يشاء محوه اى تعلقت مشيئته بمحوه اى اذهاب اثره بعد أن كان ثابتا والمشيئة صفة من شانها ترجيح احد المقدورين على الآخر ايجادا اواعداما فهى مرادفة للارادة عند الجمهور وعند البعض الارادة اخص منها لان من شانها ترجيح احد المقدورين ايجادا فقط قال تعالى ﴿ انما امرنا ﴾ اى مشيئتنا ﴿لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴾ فاجتمعت هنا مع الارادة فى الايجاد وقال تعالى ﴿ان يشأ يذهبكم﴾ فافترقت هنا عنها فى الاعدام* اقول الحق ما عليه الجمهور لا لما قاله بعضهم من ان كل صفة من صفاته تعالى تفعل فعل اخواتها فتتعدى الى ماتعدت اليه الاخرى لانا لا ندعى انها صفة اخرى غير الارادة بل لعدم الدليل على الغيرية ولايلزم من اطلاق الارادة على مامن شانها الايجاد عدم اطلاقها على مامن شانه الاعدام قال تعالى ﴿ انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ﴾ وليت شعرى كيف غفل القائل بالتفرقة عن مثل هذه الآية ولهذه المباحث تحقيقات تأتى فى الباب الثالث ان شاء الله تعالى ﴿ ويثبت ﴾ اى كل شئ تعلقت مشيئته باثباته من حياة اوموت اوغنى اوفقر اوسعادة اوشقاوة الى غير ذلك من المقدورات سواء كان ممحوا قبل ذلك اوثابتا لان الاثبات يتصور بعد الثبوت كما يتصور بعد المحو بخلاف

المحو فانه لا يتصور الا بعد الثبوت وقرأ نافع وابن عامر ويثبت بتشديد الباء الموحدة وحذف المفعول هنا للاختصار قيل ولدلالة ماقبله عليه كقوله تعالى ﴿ والحافظين فروجهم والحافظات ﴾ قلت ولتأكيد العموم المستفاد من المفعول السابق واختلف فى المقصود مما يمحوه ويثبته على اقوال * الاول يمحو الحكم الاول اى ينسخه ويثبت بدله حكما آخر لحكمة ارادها عند اهل السنة ولوجوب رعاية المصلحة عند المعتزلة * الثانى يمحو من ديوان الحفظة ماليس بحسنة ولاسيئة ويثبت الحسنة والسيئة * الثالث يثبت الذنب ويمحوه بالتوبة * الرابع يمحو من جاء اجله ويثبت من لم يجئ * الخامس يثبت فى اول السنة حكمها ومايكون فيها فاذا خرجت محاها واثبت حكم غيرها ومايكون فيها * السادس يمحو نور القمر ويثبت نور الشمس * السابع يمحو الدنيا ويثبت الآخرة * الثامن يمحو ما مضى ويثبت مابقى * التاسع يمحو رزق هذا الميت ويثبت رزق هذا الحى * العاشر يمحو طاعة من مات على المعصية اى الكفر ويثبت طاعة من مات على الطاعة وان عمل قبل معصية * الحادى عشر يثبت فى البطن السعادة والشقاوة وما هو كائن فيقدم ماشاء ويؤخر ماشاء * الثانى عشر يمحو ويثبت ما يشاء من حكمه لا يطلع على غيبه احد ولايخفى تداخل بعض هذه المذاهب فى بعض * الثالث عشر ان الآية عامة فى كل شئ كما يقتضيه ظاهر اللفظ ولان الاصل العموم فتدخل الاقوال كلها فى هذا القول وهذا هو مذهب عمر وابن مسعود ومن تبعهما رضى الله تعالى عنهم قالوا ان الله تعالى يمحو من الرزق ماشاء ويزيد فيه وكذا العمر والسعادة والشقاوة والغنى والفقر والايمان والكفر وجميع المكتوبات حتى ان اصحاب هذا المذهب كانوا يدعون ويتضرعون الى الله فى ان يجعلهم سعداء ويمحو عنهم الشقاء فقد اخرج عبد الله بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عمر بن الخطاب

رضى الله تعالى عنه انه قال وهو يطوف فى البيت ﴿اللهم ان كنت كتبت علىّ شقاوة اوذنبا فامحه فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة﴾ وهو المذهب الذى رواه سيدنا علىّ كرم الله وجهه وجابر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فقد اخرج ابن مردويه وابن عساكر عن علىّ رضى الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ﴿لاقرن عينيك بتفسيرها ولاقرن عينى امتى بعدى بتفسيرها الصدقة على وجهها وبرّ الوالدين واصطناع المعروف يحول الشقاوة سعادة ويزيد فى العمر ويقى مصارع السوء﴾ وقد صح من دعائه صلى الله عليه وسلم ﴿اللهم احينى ان كانت الحياة خيرا لى وتوفنى ان كانت الوفاة خيرا لى﴾ واخرج ابن سمرة وابن جرير وابن مردويه فى الآية قال ﴿يمحو من الرزق ويزيد فيه ويمحو من الاجل ويزيد فيه﴾ فقيل له من حدّثك بهذا قال ابو صالح عن جابر بن عبدالله بن رياب الانصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم * فان قلت فما تصنع بحديث ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿يمحو الله مايشاء ويثبت الاالشقاوة والسعادة والحياة والموت﴾ فانه صريح فى عدم العموم حيث استثنى هذه الاربعة مما يمحى ويثبت * قلت اوّلا هذا الحديث ضعف سنده الامام السيوطى فى الدر المنثور حيث قال اخرج الطبرانى فى الاوسط وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما الحديث * وثانيا خبر واحد لا يخصص القطعى * وثالثا لا يدل على عدم قبول هذه الاربعة المحو والاثبات لان الاستثناء من الاثبات ليس بنفى ولا اثبات كما ان الاستثناء من النفى كذلك بل هو مسكوت عنه غير محكوم عليه بنفى ولا اثبات فيطلب الدليل على الحكم من خارج كما عليه اما منا الاعظم واصحابه وقد تنوّرنا الدليل من خارج فاشرقت لنا شموس البراهين الواضحة فى ان كلا من السعادة

والشقاوة والحياة والموت داخل فى مايمحى ويثبت* فان قلت ألستم تزعمون ان المقادير سابقة جف بها القلم وليس الامر بآنف كما فى آخر حديث ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ رفعت الاقلام وجفت الصحف ﴾ فكيف يستقيم مع هذا المعنى المحو والاثبات قلنا ذلك المحو والاثبات ايضا مما جف به القلم وسبق به العلم وبهذا يجاب عن حديث ﴿ ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة حتى لم يبق بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان العبد ليعمل بعمل اهل النار حتى لم يبق بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها ﴾ ذلك بان يقال هذا ايضا من جملة المحو والاثبات الذى جف به القلم ولان الله تعالى محا شقاوته التى اقتضتها معصيته فاستحق بها النار بطاعته التى اقتضت سعادته فاستحق بها الجنة وبالعكس فالمحو والاثبات للسعادة والشقاوة مسببان عن الطاعة والمعصية اللذين هما فعل العبد الاختيارى وهذا عين مطلوبنا واما سبق الكتاب الذى هو عبارة عن العلم الازلى فهو ليس بمجبر لان الله تعالى علم الخلائق فى الازل على الصفة التى سيكونون عليها فيما لايزال فاراد بهم ماهم عليه ولو كانوا على غير ذلك لعلم انهم على غير ذلك واراد بهم ماهم عليه فليس للعبد حجة على الله تعالى ولله الحجة البالغة وبهذا يجاب ايضا عن حديث ﴿ يدخل الملك على النطفة بعد ماتستقر فى الرحم باربعين اوبخمس واربعين يوما فيقول اى رب أشقى ام سعيد أذكر أم انثى فيقول الله ويكتبان ثم يكتب عمله ورزقه واجله واثره ومصيبته ثم تطوى الصحيفة فلايزاد فيها ولاينقص منها ﴾ فيقال ان تلك الصحيفة قد كتب فيها ان ذلك العبد سيكون سعيدا بطاعته اوشقيا بمعصيته وليس مكتوبا فيها انه سيكون سعيدا اوشقيا على كل تقدير اذقد علم بالنصوص القاطعة وبالاجماع ان العبد اذامات على الطاعة لايكون شقيا واذا مات على المعصية لايكون سعيدا بل السعادة والشقاوة فرعا

الطاعة والمعصية وهذا ايضا عين مطلوبنا والى هذا اشار حديث ﴿اعملوا فكل ميسر لما خلق له﴾ ثم ان هذه الصحيفة هي الكتاب السابق في الحديث السابق المطابق للعلم الازلي وهو غير الصحف التي يدخلها المحو والاثبات لانه عنوان العلم الازلي لكنهما في النهاية يتطابقان فتكون الثلاثة على نمط واحد في النهاية وبهذا التقرير تحل جميع الاشكالات ويحصل الجمع بين المتعارضات ثم لما اوهم هذا المحو والاثبات جواز البدأ على الله تعالى وهو أن يعتقد شيئا ثم يظهر له ان الواقع خلافه كما توهمه الرافضة وهو محال لان علمه من لوازم ذاته والتغير في اللازم يستلزم التغير في الملزوم فيلزم تغير ذاته كذا قاله الامام الرازي ٧ محاسبحانه هذا الوهم بان هذا المحو والاثبات من جملة معلوماته الازلية ومع هذا فلا يطلع عليها احد غيره كما هو مستفاد من تقديم الظرف فقال ﴿وعنده﴾ اي لا عند غيره اذ لا يطلع على غيبه احد ﴿ام الكتاب﴾ اصل كل كتاب وهو العلم الازلي والعرب تسمي كل ما يجري مجرى الاصل من الشيء اما له كام الرأس للدماغ وام القرى لمكة وكل مدينة فهي ام لما حولها من القرى وقيل ام الكتاب اللوح المثبت فيه احوال العالم العلوي والسفلي لقوله عليه السلام ﴿كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح واثبت فيه احوال جميع الخلق الى يوم القيمة﴾ فعلى هذا ما في اللوح ايضا لا يتغير وانما الذي يتغير ما في الصحف التي بايدي الملائكة والذي اثبت في لوح القلب ان الحق هو الاول لقوله عليه السلام ﴿ان الله تعالى في ثلاث ساعات بقين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء﴾ اذ قد علم من قوله عليه السلام ﴿فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء﴾ انه ليس العلم الازلي لانه لا يدخله محو ولا اثبات وهذا معلوم بالاجماع وعلم من قوله ﴿الذي لا ينظر فيه احد غيره﴾ انه ليس الصحف التي بايدي الملائكة فتعين ان يكون هو اللوح اذ لا رابع وهذا هو مذهب ابن عباس رضي الله تعالى

٧ اخرج نفسه من عهدة هذا القول بقوله كذا قاله الامام الرازي وذلك لامكان ان يقال لا يلزم من تغير علمه تغير ذاته لان العلم كما سيأتي اضافة وتعلق بين العالم والمعلوم فلا يلزم من تغير الاضافة تغير المضاف في ذاته على ان العلم لو كان صفة حقيقية لا يلزم التغير فيه نفسه ايضا انما التغير في التعلق وهذا جائز عند الكل فالاولى الاستدلال بالنصوص القاطعة بانه تعالى بكل شيء عليم

عنهما فقد اخرج ابن جرير عنه انه قال ﴿ ان الله تعالى لوحا محفوظا مسيرة خمسة مائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوت والدفتان لوحان لله كل يوم ثلاث وستون لحظة يمحو ما يشآء ويثبت وعنده ام الكتاب ﴾ ولا دليل لهذا القائل فيما استدل به لان اثبات احوال الجميع لا يستلزم اثبات جميع الاحوال فيه وحديث ان اصل الاضافة للاستغراق على تقدير تسليمه ففيما لم يقم دليل على خلافه وما تقدم من السبر يدفع جريان هذا الاصل هنا فافهم قيل وانما اثبت فيه نقوش صور الكائنات ليظهر الملائكة على انه تعالى عالم بجميع المعلومات * قلت وليطلعهم بما يحدثه فيه من المحو والاثبات على انه فاعل بالاختيار لا موجب بالذات ﴿ الآية الثالثة ﴾ قوله تعالى ﴿ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير ﴾ هذه الآية مع قرينتها مسوقتان لبيان احاطة علمه ونفوذ ارادته كما انهما مسبوقتان بما سيق لبيان كمال قدرته وذلك انه تعالى بين كمال قدرته بقوله ﴿ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا ﴾ فهذا الخلق المتداول على المواد المختلفة مع انتهائه الى الجعل دال باسناده اليه تعالى بل بتكرير الاسناد على انه كامل فى القدرة باهر فى الحكمة اذ الاصل فى الاسناد الحقيقة والله تعالى منزه عن الالة وهذا الاسناد نص فى هذا المدلول لان النظم مسوق له * ثم بين احاطة علمه بتفاصيل الاحوال والاوضاع بقوله ﴿ وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ﴾ فان ما فى الارحام قبل الانخلاق بل بعده لا يعلم حاله احد كيف والام الحاملة له لا تعلم منه شيئا وهذا البيان ايضا بطريق النص * ثم بين تعالى نفوذ ارادته فيما هو مستتبع لهذا الخلق والجعل والحمل والوضع وهو تصرفه بالعمر الطبيعى الذى تقتضيه طبيعة الانسان واخراجه عن مقتضى طبيعته والحاصل ان هذه الآيات الثلاث نص فى ان جميع احوال الانسان التى تعرض له

من ابتداء خلقه الى نهاية عمره هى بتصرف قدرة الله تعالى ونفوذ ارادته واحاطة علمه لا الطبيعة اقتضتها اذ هو خالق الطبائع فله التصرف فيها كيف مايشاء فمعنى قوله تعالى ﴿ ومايعمر من معمر ﴾ اى من شخص يؤول امره الى التعمير مثل من قتل قتيلا وانى ارانى اعصر خمرا فيكون مجازا باعتبار الاول لئلا يلزم تحصيل الحاصل كذا قالوا * اقول يجوز أن يحمل الكلام على حقيقته من غير ارتكاب تجوّز وهو أن المعمر هو الذى بلغ عمراً مافبعد بلوغه ذلك العمر مثلا يجوز أن يعمر مرة ثانية بسبب اقتضاه من دعاء اوطاعة فهذا المعمر اوّلا بالعمر الاول تعمر ثانيا بالعمر الثانى فاندفع التجوّز وحمل الكلام على حقيقته واىّ داع الى هذا التجوّز بعد ظهور هذا المعنى الذى هو مسوق الآية بالنسبة الى مقابله كما ستعرف فالمعنى ومايعمر بعمر ثان من معمر بالعمر الاول فمعنى مقابله وهو قوله تعالى ﴿ وماينقص من عمره ﴾ اى من عمر ذلك المعمر بالعمر الثانى الذى يبلغه بالطاعة ونقصانه باعتبار أنه اذا لم يعمل تلك الطاعة لايبلغ ذلك المقدار من العمر بل انقص منه فهذا المقدار من العمر الثانى هو عمر للمعمر بالعمر الاول فان بلغه يكون قدزيد فى عمره بالنسبة الى الاول والا يكون قدنقص من عمره بالنسبة الى الثانى فالزيادة والنقصان انما هما باعتبار اسباب مختلفة اثبتت فى اللوح كما قال تعالى ﴿ الافى كتاب ﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما انه اللوح وقيل علم الله تعالى وقيل صحيفة كل انسان والاول عليه المعوّل كما عرفت سابقا قيل وذلك مثل ان يكتب فيه ان حج فلان مثلا فعمره ستون وان لم يحج فعمره اربعون * اقول قدقررنا سابقا ان اللوح هو محل المحو والاثبات فالمناسب ان يقال مثل ان يكتب فيه عمر فلان اربعون سنة مثلا فبعد مدة محيت تلك الاربعون واثبت مكانها ستون ليكون المحو والاثبات حقيقة وذلك

بسبب اقتضاه من دعاء اوطاعة وبالعكس ومع هذا فلايلزم التغيير
فى التقدير لان الانسان لابد وأن يوافق ما اريد به الذى هو عليه
وهو اما الزيادة التى تترتب على كسبه الطاعة اوالنقصان الذى يترتب
على كسبه المعصية وهذا هو مذهب ابن عباس كما تقدم واليه الاشارة
بقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ الصدقة والصلة يعمران الديار
ويزيدان فى العمر ﴾ وقيل معنى نقصان عمر الشخص ذهاب عمره
تدريجا بان يكتب فى اللوح تحت عمره ذهب يوم ذهب يومان مثلا
* اقول هذا مع مافيه من عدم المقابلة لمعنى الزيادة لايلايم سوق الآية
الذى هو لبيان نفوذ الارادة وقيل الضمير فى عمره يرجع الى
الشخص باعتبار نوعه لاباعتبار عينه اى وما ينقص من عمر شخص
آخر لان الزيادة والنقصان يمتنع ان يعرضا لشخص واحد لانهما
ضدان لايجتمعان وهو من التسامح فى مثل هذا المقام المعتمد فيه على
الافهام * اقول قدعرفت كيفية اجتماعهما من غير احتياج الى ارتكاب
هذا التجوز والخروج عن ظاهر نظم الآية واخراج ضمير الغائب
عن موضوعه الذى هو الشخص المعين الذى سبق ذكره وان كان
الوضع عاما فالموضوع له خاص وهو نادر جدا بل لايكاد يوجد الا
على طريق الاستخدام * وهو غير مناسب فى مثل هذا المقام * لاخراجه نظم
الكلام * عن سلك القصد والمرام * فضلا عن ضعف التسامح وسقم الاعتماد
على الافهام * ثم انه تعالى بعد ذلك البيان النضير * العديم النظير * اشار
الى ان هذا المبين هين عليه بقوله ﴿ ان ذلك ﴾ اشارة الى الخلق والجعل
والحمل والوضع والتعمير والنقص والى نفوذ ارادته وتصرف قدرته
واحاطة علمه بالكل اللذين كل منهم فى اقصى مراتب البعد بالنسبة الى العبد
بل محال ﴿ على الله يسير ﴾ هين عليه فالآية ايضا صريحة فى ازدياد العمر
ونقصه ﴿ الآية الرابعة ﴾ قوله تعالى حاكيا قول نوح عليه السلام لقومه ﴿ ان
اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى

اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴾ ولنتكلم فيها على سياق سوابقها فنقول قوله تعالى ﴿ان﴾ تفسير لقوله تعالى ﴿انى لكم نذير مبين﴾ لان الانذار فيه معنى القول دون حروفه والمصدرية لا تدخل الامر الا على اضمار القول كالمخففة مع ان فيها حذف الجار وفى المخففة حذف ضمير الشان ايضا والكل تكلف فتعين الاول والمعنى انذارى لكم ﴿ان اعبدوا الله﴾ اى اعترفوا وصدقوا بعبوديتكم له وبربوبيته عليكم اذ هو حقيقة العبادة ولان المطلوب منهم اولا هو الايمان اذ لا تكليف بما عداه قبله لمثلهم واما بعده فقد كلفهم بالفروع بقوله ﴿واتقوه﴾ اى قوا انفسكم اى احفظوها منه اى من الوقوع فى مناهيه والتقوى اجتناب المناهى ولكون التقوى تستوعب سائر الاوقات دون الطاعة قدمها سبحانه فى الذكر عليها اهتماما بشانها ثم عطفها عليها كما عطف التقوى على الايمان بالواو لاشتراك الكل فى سببية تأخير الاجل وغفران الذنوب فقال واطيعون اى فيما آمركم به من المأمورات لان من يطع الرسول فقد اطاع الله والطاعة امتثال المأمورات وللاعتناء بشان طاعتهم له عليه السلام اضاف الطاعة اليه ويجوز أن يراد بالطاعة مايعم التقوى فيكون عطفها عليها من قبيل عطف العام على الخاص للتنبيه على شرف التقوى حيث ذكرت مستقلة تارة وفى ضمن غيرها اخرى وهذه النكتة موجودة فى عطف التقوى على الايمان المقصود من العبادة لانه تقوى الشرك او مستلزم لها ويجوز أن يراد بكل منهما مايعم الآخر فيكون الثانى تقريرا للاول ويجوز أن يراد بكل من الثلاثة مايعم الآخر فيكون كل من الثانى والثالث تقريرا للاول وايا ما كان فكل من قوله تعالى ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ وما يليه مرتب على مجموع هذه الامور الثلاثة ترتيب السبب على المسبب وان كان ترتيبا عاديا اى ان تعبدوا الله وتتقوه وتطيعون يحصل لكم منفعتين احداهما وهى الاهم ولذا قدمت راجعة الى اخراكم وهى سترما تقدم لكم من الذنوب وعدم

المؤاخذة به قيل وعلى هذا التقدير فمن للتبعيض لان ذنوبهم المتقدمة بعض من مجموع ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة * قلت لايجوز أن تكون عليه من للتبعيض الا تجوزا بعد ماسيصنعونه فى المستقبل من ذنوبهم وقت خطابهم وبارتكاب الجمع بين الحقيقة والمجاز فلو اريد بعض ذنوبهم التى هى حقوق الله كان له وجه على ان الله تعالى يغفر الذنوب جميعا ويجوز أن تكون من زائدة اى يغفر لكم ذنوبكم وابتدائية اى يبتدأكم بغفران ذنوبكم تفضلا منه وبيانية فيقدر قبلها مايفسره مدخولها اى يغفر لكم افعالكم التى هى الذنوب والاولى عندى ان تكون للجنس فتكون لتأكيد عموم النفى المستفاد من معنى الغفران المسلط على الجمع المعرف بالاضافة الذى هو للعموم فكأنه قال تعالى لا يؤاخذكم بشىء من ذنوبكم فهذه هى المنفعة الاولى الراجعة الى الاخرى واما المنفعة الاخرى الراجعة الى الاولى فهى قوله تعالى ﴿ويؤخركم الى اجل مسمى﴾ اى امد مضروب قدره الله لكم بشرط حصول هذه الامور الثلاثة اقصى مما قدره لكم على تقدير بقائكم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى ولفظ التأخير وانتهاء التأخير الى ذلك الاجل وتعليق انتهائه بتلك الامور الثلاثة صريح فى ان لهم اجلين اقصى وهو هذا وادنى وهو المقدر المضروب الذى لايتجاوزونه الى الاقصى على تقدير بقائهم على ماهم عليه ولما لم يمكن التجاوز من الادنى الى الاقصى عند حلول الادنى وهم على ماهم عليه من الكفر والمعصية كما لم يمكن تجاوز الاقصى مطلقا بل يحتاج التجاوز الى وجود مجموع هذه الامور الثلاثة قبل حلوله علل سبحانه الامر بهذه الامور بقوله ﴿ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر﴾ اى ان الاجل الذى قضاه وقدره لكم على تقدير بقائكم على الكفر والعصيان اذا جاء وانتم باقون على ما انتم عليه لايؤخر لفقد شرط التأخير وهو الايمان والطاعة اذ لا يمكنكم حينئذ الايمان والطاعة بل لايقبل منكم لانه ايمان يأس فبادروا

الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لايتحقق شرطه الذى هو بقائكم على الكفر والعصيان فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه فعلى هذا الجملة تعليل للامر بالايمان والطاعة قبل حلول الاجل لامطلقا كما قيل وكأن هذا القائل اوهمه عدم تقييد الايمان والطاعة بكونهما قبل حلول الاجل مع ان قوله تعالى ﴿ ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم ﴾ ينادى على التقييد باعلى صوت وعندى ان الجملة تعليل لتعليق التأخير بوجود هذه الامور الثلاثة وهذا وان كان عين الاول ما آلاً لكنه اقوى منه صناعةً لان المقصود من الشرطية اولا وبالذات تعليق الجزاء بالشرط فما امكن جعل التعليل له فهو اولى من جعله لاحد الطرفين اللذين كل منهما مقصود بالعرض فيكون التقدير ان علة ترتيب تأخير الاجل على حصول هذه الامور الثلاثة قبل حلوله ومشروطيته بها عدم امكان تأخيره عادة عند حلوله وهى غير حاصلة فالقبلية ايضا ملحوظة وعند الزمخشرى ومن تابعه الجملة تعليل لانتهاء التأخير الى الاجل المسمى وهو عدم التجاوز له كما يفهم من تعليق التأخير بالاجل المسمى وتغييه به فيكون المعنى انما لايتجاوز التأخير الاجل المسمى بل هو انتهاء غايته لان اجل الله وهو الاجل المسمى ﴿ اذا جاء لايؤخر ﴾ والاول عليه المعول لان الاجل المنفى عنه التأخير عند مجيئه وهم على ماهم عليه حرى بان يكون هو الاجل الموعودين بتأخيره بشرط الايمان والطاعة اذ هو المفروض مجيئه فكيف يتصور أن يكون المفروض مجيئه هو الاجل المسمى الذى هو آخر الآجال والحال ان عدم تأخيره معلوم عندهم لايحتاج الى اخبار الرسول بخلاف الاجل الاول ولهذه النكتة اللطيفة اوقع سبحانه التأخير عليهم فى قوله ﴿ ويؤخركم ﴾ دون الاجل ونفاه عن الاجل فى قوله ﴿ لايؤخر ﴾ دونهم لانه على تقدير ايمانهم وطاعتهم لايتصور مجيئه حتى يؤخر عنهم فحق ثبوت

التأخير لهم لالله بخلاف ما اذا جاء وهم على ماهم عليه فانه حينئذ حق نفى التأخير عنه لاعنهم لانه هو موضوع البحث ولهذا ايضا قال سبحانه ﴿ لو كنتم تعلمون ﴾ اى لو كنتم من اهل العلم لعلمتم ان الاجل المقدر اذا جاء لايؤخر فجواب لو مما يتعلق بالعلة ويجوز أن يكون مما يتعلق بالمعلول اى لو كنتم من اهل العلم لسارعتم الى ما امرتم به حتى لايجيء الاجل المقدر مع ان ذنوبكم تغفر والاولى عندى ان يكون جواب لو مما يتعلق بالعلة والمعلول ليكون ابلغ فى نفى العلم عنهم وعلى كل تقدير فالفعل منزل منزلة اللازم ويجوز أن يكون المفعول محذوفا لقصد التعميم وعدم التقدير اولى والجمع بين صيغتى الماضى والمضارع للدلالة على استمرار النفى المفهوم من لو وجعل العلم المنفى هو العلم النظرى فقط لا الضرورى ولا مايعمه اللهم الا على سبيل المبالغة وقد تبين مما قررناه من جميع الوجوه انه لاتنافى بين ثبوت التأخير للاجل ونفيه عنه لتسبب كل منهما عن غير ماتسبب عليه الا خر فهذه هى الآيات الدالة على جواز تأخير الاجل وفى ضمنها مايدل على جواز محو الشقاوة والسعادة ونقص العمر والزيادة وانما اطنبنا الكلام فيها ليتبين القول الصحيح من الاقوال فيتضح لنا وجه الاستدلال ﴿ واما الآيات ﴾ الدالة على جواز ازدياد الرزق بالاستقلال فكثيرة جدا ﴿ فمنها ﴾ ماحكاه تعالى من قول نوح عليه السلام لقومه ﴿ استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ﴾ قال مقاتل ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فرجعوا الى نوح عليه السلام فقال لهم استغفروا من الشرك حتى يفتح الله عليكم ابواب الرحمة فكأنه قال عليه السلام لهم اذا استغفرتم فكما يمن الله عليكم بمطلوبكم الذى هو دفع ضرر الدنيا يمن عليكم بما هو اعظم منه وهو دفع ضرر الاخرى ويروى ان قوم نوح

عليه السلام قالوا له ان ديننا الذى نحن عليه ان كان حقا فلم يأمرنا الهك بتركه وان كان باطلا فكيف يقبلنا اذا رجعنا عنه وقد مضت علينا السنوات العديدة ونحن عليه فوعدهم انهم اذا استغفروا ورجعوا فمع قبوله لهم وغفران ذنوبهم الذى هو عندهم مستبعد جدا واصلاحه لهم امر اخراهم يمنحهم ماهو سعادة لهم فى دنياهم لان السعادة منحصرة فى نوعين نوع تبلغ غايته فى الدنيا وسياتى ونوع تبلغ غايته فى العقبى وهو الاهم عندهم بل فى الواقع ولكونهم يستبعدونه استبعادا بلغ حد الانكار كما تدل عليه الرواية الثانية اشار سبحانه الى ترتيب حصوله على الاستغفار باسمية الجملة المصدرة بان فى قوله ﴿انه كان غفارا﴾ كثير المغفرة فيما مضى كما انه كثيرها فيما بقى حسبما وعدكم به هذا على تقدير أن تكون كان للزمان واما اذا كانت لمجرد الربط والتقوية للحكم كما فى قوله تعالى ﴿وكان الله عليما حكيما﴾ فالمعنى ان كثرة مغفرته ازلا وابدا لاتنقطع اولتنزيلهم منزلة المنكرين حيث ان فعلهم فعلهم اوللتعليل كما تدل عليه الرواية الاولى والنوع الذى تبلغ غايته فى العقبى منحصر فى خمسة اشياء صرح ٣ سبحانه بترتيب حصولها على الاستغفار بقوله ﴿يرسل السماء﴾ اى من السماء اومائها اومن السحاب اومائها اويرسل المطر ﴿عليكم﴾ من فوقكم ﴿مدرارا﴾ كثيرة الدرور وهو حلب الشاة حالا بعد حال اى متتابعا وصيغته مما يستوى فيه المذكر والمؤنث فتنمو اشجاركم وزروعكم وتكثر اثماركم وارزاقكم وتنتج مواشيكم ويخصب عيشكم ﴿ويمددكم باموال﴾ كثيرة كما هو المفهوم من تنوين التنكير ﴿من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وبنين﴾ كثيرة وتأخير البنين عن الاموال لاحتياجها اليهم فى بقائها لا فى ابتدائها ﴿ويجعل لكم جنات﴾ بساتين ﴿ويجعل لكم انهارا﴾ جارية لمزارعكم وبساتينكم ولاحتياج البساتين من اصلها ووجودها الى الانهار كرر العامل فقد رتب

٣ انما قال فى الاول اشار وفى الثانى صرح لظهور الفرق بين ترتيب الجزاء على الشرط هنا وبين ترتيب ماهو واقع موقع الجزاء اذ معناه استغفروا يغفر لكم فالترتيب صريح فى الثانى دون الاول منه

سبحانه وتعالى حصول نوعى السعادة الدنيوية والاخروية على الاستغفار وهو المطلوب ومنها قوله تعالى خطابا لنا على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله ﴾ فانه تعالى سبب التمتيع الحسن فى الدنيا الى الاجل المسمى الذى هو آخر الآجال واتيان كل ذى فضل مايستحقه فى الاخرى من الفضل عن الاستغفار اى ان تطلبوا مغفرة ذنوبكم اى سترها وعدم المؤاخذة بها بالاقبال على الله ثم تستكملوا ذلك الاقبال بالاعراض عن الذنوب فى المقبل ﴿ يمتعكم متاعا حسنا ﴾ اى تمتيعا حسنا او بمتاع حسن اى يبسط عليكم من الدنيا واسباب الرزق ماتعيشون به عيشا راضيا لا يفوتكم فيه شئ مما تشتهون صافيا لا يكدره شئ مما تكرهون منتهيا ذلك العيش بكم او منتهين بذلك العيش ﴿ الى اجل مسمى ﴾ هو اقصى ماقدره لكم فى الدنيا واما فى الاخرى فيجازيكم بمقتضى فضلكم فى الدنيا لايخس منكم شئ كما قال تعالى ﴿ ويؤت كل ذى فضل ﴾ صاحب طاعة وعبادة ﴿ فضله ﴾ مقتضى فضله من الدرجات فى الجنة او يؤت كل ذى فضل فضله الذى يتفضل به على عباده المقربين من مضاعفة الحسنات ورفع الدرجات زيادة عن مقتضى الاعمال قال ابو العالية ﴿ من كثرت طاعته فى الدنيا زادت حسناته فى الآخرة ﴾ وقال ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة ﴾ وقال ابن مسعود رضى الله عنه ﴿ من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة فى الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها فى الدنيا اخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات هلك من غلبت آحاده اعشاره ﴾ فكما ان هذه الآية صريحة فى ترتب ترفيه العيش فى الدنيا ورفع الدرجات فى الاخرى على الاستغفار والتوبة

صريحة فى ترتب بلوغ العمر الطويل البالغ اقصى الآجال عليهما وكلاهما المطلوب فان قيل ماقررته من ترتب ترفيه العيش للمؤمن فى الدنيا على الطاعة ينافى قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ﴾ قلنا لامنافاة لان الدنيا سجن المؤمن من حيث تقييد نفسه وتكليفها بالمأمورات وحبسها عن المنهيات واستعداده للموت وخوفه من هول يوم القيمة لكونه لايدرى ماذا يصنع الله تعالى به حتى يلقى ربه فيخرج من هذه العهدة وان كان مترفه العيش فان كان ضيقه فمن باب اولى وجنة الكافر فى اطلاق نفسه عن التكاليف وانهماكها فى اللذات والشهوات وان كان ضيق العيش فان كان مترفها فيه فمن باب اولى او نقول المؤمن مهما كان واسع العيش فى الدنيا فبالنسبة الى ما اعدّ الله له من النعيم الدائم ورفع الدرجات فهو فى سجن والكافر مهما كان ضيق العيش فى الدنيا فبالنسبة الى ما اعدّ الله له من الجحيم المقيم وخفض الدركات فهو فى جنة هذا على تقدير أن تكون اللام فيهما للاستغراق فان كانت للجنس الصادق ببعض الافراد فلا اشكال فى انها سجن على بعض المؤمنين جنة على بعض الكافرين من كل جهة واما ضيق العيش على الرجل المؤمن الصالح فى بعض الاوقات فهو لزيادة رفع الدرجات ومنها ماحكاه تعالى من قول هود عليه السلام لقومه ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ﴾ فقد سبب ايضا سبحانه وتعالى ارسال المطر الغزير الذى ينمو فيه الخير الكثير وضم ازدياد القوة الى القوة فى الابدان والاموال على الاستغفار والتوبة اللذين هما عبارة عن الاقبال على الله والاعراض عما سواه وهذا ايضا هو المطلوب ومنها قوله تعالى ﴿ ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ﴾ فقد الزم سبحانه وتعالى وجود فتح البركات من السماء

والارض التى هى عبارة عن تتابع الامطار ونمو الاشجار وكثرة الثمار ونتاج الانعام للايمان والتقوى وهو المطلوب ومنها قوله تعالى ﴿ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم﴾ فقد الزم ايضا سبحانه الاكل من فوقهم اى سببه وهو المطر الغزير التى بها تنبت الزروع وتنمو سائر النعم كما تقدم فيأكلون ومن تحت ارجلهم وهو ما تسبب عن المطر من الارزاق النباتية والحيوانية لاقامة التورية والانجيل وما انزل اليهم من كتب انبيائهم او القرآن وذلك ان اليهود لما اصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ابتلاهم الله تعالى بالقحط والسنين حتى قالوا يد الله مغلولة فاخبرهم الله تعالى بان تبديل الشدة والضيق بالسعة والخصب مترتب على تصديق محمد صلى الله عليه وسلم فاذا حصل التصديق حصل التبديل وهو المطلوب ومنها قوله تعالى ﴿لئن شكرتم لازيدنكم﴾ اى لئن شكرتمونى واعترفتم بنعمتى وعظمتمونى على ما اوصلت اليكم من النعم السابقة لازيدنكم من النعم اللاحقة واضم لكم نعمة على نعمة لان الشكر قيد الموجود وصيد المفقود فقد اوجب سبحانه وتعالى وجود زيادة النعم وانضمام المفقوم الى الموجود عند وجود الشكر الذى هو الاعتراف بالنعم على وجه يشعر بتعظيم المنعم واكد هذا الوجوب زيادة التأكيد كما يدل عليه اللام المؤذنة بالقسم المحذوف واللام الداخلة على ماهو واقع موقع الجزاء الموضوعتين لتأكيد الحكم وهو المطلوب* واعلم ان معنى الشكر شرعا هو صرف العبد جميع ما انعم الله عليه به الى ما خلق له فكل نعمة انعم الله تعالى بها على العبد من النعم الظاهرة والباطنة يتعلق بها نوع من الشكر حسبما تقتضيه وتؤديه تلك النعمة من الشكر الذى هو من جنسها فيجب على العبد أن يصرف تلك النعمة الى ما خلقت له من المصلحة وبذلك الصرف يحصل ذلك النوع المتعلق بها من الشكر مثلا انعم

الله تعالى على العبد بالعقل الذى هو نعمة عظيمة من النعم الباطنة اذ هو معدن لسائر الكمالات فيجب على الانسان ان يصرفه الى النظر فى مصنوعات الله تعالى وعجائب ملكه وملكوته ليستدل على وحدانية الصانع واحاطة علمه وعلى عظمته ونفوذ ارادته وتصرف قدرته وباهر حكمته وعزة سلطنته وانه متصف بصفات الكمال منزه عن سمات النقصان ثم يجب عليه ان يصرفه بعد ذلك الى الاشتغال بالعلوم التى بها يتوصل الى معرفة المعتقدات الغيبية كالحشر والنشر والقبر والموازين والصراط والجنة والنار والحساب والعقاب والى معرفة الامور التى هى راجعة الى معاده كمعرفة الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح وما يترتب عليها من الثواب والعقاب والى معرفة الامور الراجعة الى معاشه والمخالطة مع ابناء جنسه كمعرفة احكام البيع والشرآء والنكاح والهبة وما اشبه ذلك من معرفة الحرف والصنايع وغيرها مما يحتاج اليها فى ذلك الزمان فمعرفة هذه الامور كلها واجبة على الانسان فاذا اداها فقداقام بنوع الشكر الذى هو متعلق بنعمة العقل ثم نعمة القدرة يجب الشكر عليها بما تقتضيه مثل تنفيذ هذه المعلومات وابرازها من القوة الى الفعل والعمل بموجبها وترويج احكامها ومثل اغاثة الملهوف واعانة المظلوم واسعاف الفقير واعطاء الحقوق لاربابها فادائها هو النوع من الشكر الذى متعلقه نعمة القدرة ثم من النعم الظاهرة مثلا المال يجب صرف بعضه فى الصدقات والاستعانة بباقيه على الطاعات لا على اللهو واللذات المنكرات الذى هو خلاف ما خلقت له نعمة المال ومن النعم نعمة الجاه يجب صرفه فى قضاء حوائج المسلمين وتبكيت الظالمين وهكذا السمع يجب صرفه الى استماع المواعظ والقرآن وشكوى المظلومين وكذا البصر يجب صرفه الى النظر فى القرآن والكتب الشرعية وما فيه مصلحة وكذا اليد

يجب صرفها الى تناول المنافع ودفع المضار والرجل يجب صرفها الى السعى الى المساجد والى قضاء حوائج الناس والى الخيرات وصلات الارحام واصلاح ذات البين مثلا واللسان يجب صرفه الى الاشتغال بقرآئة القرآن وتسبيح الرحمن والاوراد والاذكار والصلوات وفى الكلام فى قضاء حوائج المسلمين لا فى الكذب والغيبة والنميمة والزور والبهتان والفحش والرفث واللغو ومالا يعنيه ونحو ذلك مما يؤدى الى ضد ما خلقت له تلك النعمة وهكذا سائر النعم الظاهرة والباطنة ومن المعلوم ان نعم الله تعالى لا يحيط بها حد ولا ينتهى بها عد كما قال تعالى ﴿ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ فاذا لم يمكن احصائها عدا فكيف يمكن القيام بشكرها فعلا فاذا قام الانسان بشكر بعضها على قدر الاستطاعة والتمكن كما قال تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ واعترف بعجزه وقصوره عن اداء شكر جميعها بناء على عدم الاستطاعة بالقيام بحق حقيقة الشكر الذى هو الصرف كما تقدم فقد شكر الله تعالى على جميعها كما ورد ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام ما معناه اشكر لى نعمائى فقال يارب وهل يقدر احد على شكر نعمائك والحال ان الشكر عليها ايضا هو نعمة يجب الشكر عليها وهلم جرا فقال الله تعالى الآن شكرتنى باعترافك بعجزك عن القيام بحقيقة الشكر بل الانسان لا يقدر على القيام بشكر نعمة واحدة لما تقدم من لزوم التسلسل فكيف يمكن القيام بشكر الجميع فلهذا * قلنا الاعتراف بحقيقة النعمة على وجه يشعر بتعظيم المنعم هو الشكر فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ومنها قوله تعالى ﴿ وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ﴾ اى ﴿ ان ﴾ الشان ﴿ لو استقاموا ﴾ على طريقة الاسلام ﴿ لاسقيناهم ماء ﴾ جاريا كما هو المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما لان رياض عيشهم فيه تزهر واغصان خيرهم فيه تثمر اوعيشا رغدا كما هو المروى

عن عمر رضى الله عنه وعن عكرمة مثله فيكون من اطلاق اسم السبب على المسبب واليه الاشارة بقول عمر رضى الله عنه حيثما كان الماء كان المال وحيثما كان المال كانت الفتنة وعليه فالسقى ترشيح للمجاز اوالماء الغدق مستعار للعيش الرغد لاشتراكهما فى تلذذ النفوس وتروية الصدور وتغذية القلوب وارتياح الارواح واثبات السقى ترشيح ايضا او فى هذا الكلام تشبيه للهيئة المنتزعة منهم ومن العيش الرغد الحاصل لهم حال كونه حاصلا لهم بالهيئة المنتزعة من الشارب الظمآن ومن الشرب الحاصل له حال كونه حاصلا له من حيث اشتراك الهيئتين فى وجه لطيف هواشعار كل منهما بانهماك من قامت به بالتلذذ الذى بين يديه واعراضه بالكلية عن غير ما هو عليه ولهذه النكتة اللطيفة قال سبحانه وتعالى ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ كما قال تعالى ﴿انما اموالكم واولادكم فتنة﴾ ولانه يورث الاعراض عن الله تعالى قال سبحانه ﴿ ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا ﴾ تنبيها على عاقبته فقد الزم سبحانه وتعالى وجود العيش الرغد الصافى من شوائب الكدورات المستجمع لسائر انواع اللذات لوجود الاستقامة على طريقة الاسلام وهو المطلوب ومنها قوله تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ نزلت هذه الآية فى عوف بن مالك اسر ابن له يسمى مالكا فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اسر العدو ابنى وشكا ايضا اليه فاقة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ اتق الله واصبر واكثر من لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴾ ففعل الرجل ذلك فبينما هو فى بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب منهم ابلا وجاء بها الى ابيه فنزلت وعن ابن عباس رضى الله عنهما فاستاق غنمهم وهى اربعة آلاف شاة وقيل اصاب غنما ومتاعا فجاء ثم رجع الى ابيه فانطاق ابوه الى النبى صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وسئله أيحل له

اكل ما اتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿نعم﴾ ونزلت فمعنى الآية كل ﴿من يتق الله يجعل له مخرجا﴾ من كل شدة لان خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم خصوصا اذا كان نصا فى العموم وقال ابن مسعود ﴿يجعل له مخرجا﴾ من كل شئ وقيل من كل شئ ضاق على الناس ويرزقه من حيث لا يحتسب اى من جهة لا يحسب ان له فيها رزقا كما رزق ابن عوف وقال ابن مسعود هو أن يعلم انه من قبل الله يعنى لعدم وجود سبب ظاهر يتعلق رجائه به فيعلم قطعا انه من عند الله كما يشير اليه قوله تعالى ﴿ان الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ اى من غير حسبان من المرزوق وعلم منه فقد دلت الآية الكريمة على وجوب وجود الاخراج من الشدائد والضيق والخوف والفقر الى الفرج والامان والسعة والغنى عند وجود التقوى من الانسان وهو المطلوب ومنها قوله تعالى ﴿ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا﴾ قيل ييسر الله له امر الدنيا والآخرة وقيل ييسر الله له من امره ويحلل له من عقده فى الدنيا وايا ما كان فقد اوجب سبحانه وجود تيسير الامور وحل المشاكل والعقد عند وجود التقوى وهو المطلوب ومنها قوله تعالى ﴿من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما الحيوة الطيبة السعادة وعنه ايضا الرزق الحلال فى الدنيا والجزاء باحسن ما كان يعمل فى الآخرة وعنه الكسب الطيب والعمل الصالح وعنه القناعة وعن الضحاك الاكل والشرب واللبس الحلال وعن ابن جبير لا يحوجه الى احد وايا ما كان فقد اوجب سبحانه وجود الحيوة الطيبة التى هى السعادة فى الدنيا عند وجود الايمان والعمل الصالح واكد هذا الايجاب كما يدل عليه اللام واما فى الاخرى فقد قال تعالى ﴿ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون﴾ اى باحسن الجزاء الذى يترتب على العمل الصالح بشرط الايمان الذى هو اساس لكل خير والآيات كثيرة يعسر حصرها وفيما ذكرناه كفاية وجميع ما فى هذه

الآيات من القضايا الشرطية دالة على وجوب وجود تواليها عند وجود مقدماتها بحيث يمتنع انفكاك التالى عن المقدم وان كان الوجوب عاديا بمعنى ان الله تعالى اوجب وجود هذا عند وجود هذا لكن هذا الايجاب العادى كالعقلى لانه تعالى اذا اوجب وجود شئ عند شئ واخبر بذلك الايجاب فهل يتصور حينئذ جواز الانفكاك كلا بل هذا اشد من الايجاب العقلى واقوى لان الممتنعات العقلية كاجتماع النقيضين ووجود الجسم فى آن واحد فى مكانين قد جوز بعض الصوفية وقوعها بخلاف مانحن فيه فان امتناع انفكاكه متفق عليه * واعلم ان الايمان والطاعات مفاتيح لابواب الخيرات ومطامح لانواع السعادات وهذا واضح عقلا ونقلا اما نقلا فلما تقدم من الآيات وعلى نحوها كثير لايضبط واما عقلا فلان الكفر والعصيان لما كانا سببا لخراب العالم فبالضرورة ان يكون الايمان والطاعة سببا لعمارته اما كون الكفر والعصيان سببا لخراب العالم فلدلالة قوله تعالى ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ﴾ فكأنه تعالى يقول كدت ان افعل كذا لكن لاجل خلقى لم افعل اوكادت السموات والارض والجبال ان تتفطر وتنشق وتخر لوكان لها عقل من فظاعة هذه الكلمة وغلظها اوهذا الكلام استعظام لهذه الكلمة وتهويل لها من فظاعتها وتصوير لاثرها فى الدين وهدمها لاركانه وقواعده كما تهدم الجبال وتشق الارض وتفطر السماء لوعقلت اوان السموات والارض والجبال كانت سليمة فلما قيل هذا القول عيبت وظهرت العيوب فيها وكل مروى عن بعض وعلى كل فالكفر مستعد لسببية خراب العالم ولما كان الايمان والطاعة مناقضين لهما من كل وجه وجب ان يكون ماتسبب عنهما ايضا مناقضا لما تسبب عن الكفر والعصيان من كل وجه وقد تسبب ٢ عن الكفر والعصيان الخراب

٢ اى استعد للتسبب منه

فيجب ان يتسبب ٣ عن الايمان والطاعة العمارة وان شئت ان تعلم حقيقة الايمان لغة وشرعا فالق الى السمع وانت شهيد * فاقول وبالله استعين الايمان لغة التصديق القلبي ولم ينقل الى غيره شرعا لان النقل خلاف الاصل ولان العرب كانوا يمتثلون من غير استفسار ولا توقف الا بما يجب الايمان به وقد بين المؤمن به بقوله صلى الله عليه وسلم الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره دون الايمان اعتمادا على الوضوح ولولاه كان اشكالا لا بيانا غايته انه التصديق بامور مخصوصة شرعا واصله افعال من الامن للصيرورة او التعدية كأن المصدق صار ذا امن من ان يكون مكذوبا او جعل الغير آمنا من التكذيب ولان مآله اخذ الشئ صادقا والصدق يوصف به المتكلم والكلام والحكم تعلق بالشئ باعتبارات مختلفة مثل آمنت بالله اى بانه واحد متصف بما يليق منزه عما لا يليق وآمنت بالرسول اى بانه مبعوث من عندالله صادق فيما جاء به وآمنت بالملائكة اى بأنهم عباد الله المكرمون المعصومون المطيعون لا يتصفون بذكورة ولا انوثة ليسوا بنات الله ولا شركاء وآمنت بكتبه اى بانها منزلة من عندالله صادقة فيما تضمنته من الاحكام وآمنت باليوم الآخر اى بانه كائن البتة وآمنت بالقدر اى بان الخير والشر بتقدير الله تعالى ومشيئته ومرجع الكل الى القبول والاعتراف وقد اختلف فيه هل هو اسم لفعل القلب فقط او اللسان فقط اولهما معا فقط اولهما مع فعل الجوارح واختلف القائلون بالاول على اربعة مذاهب احدها انه اسم للتصديق بما علم به مجئ محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة اجمالا فيما علم اجمالا وتفصيلا فيما علم تفصيلا والاقرار شرط فيه يسقط بعذر شرعي حتى ان من صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من الاقرار فهو كافر عندالله مستحق

٣ اى يستعد

للخلود فى النار ومن صدق بقلبه ولم يتمكن من الاقرار فهو مؤمن عندالله مستحق لدخول الجنة واما اظهار الاقرار فهو شرط لاجراء احكام المسلمين فى الدنيا على المقر وهذا مذهب الجمهور ثانيها انه اسم للمعرفة اى معرفةالله تعالى بوحدانيته وسائر مايليق به فقط وهو مذهب الشيعة وجهم بن صفوان وابى الحسين الصالحى من القدرية ثالثها انه اسم لمعرفةالله تعالى والرسل وما جاءت به والاقرار شرط ايضا وهو مذهب الفقهاء رابعها انه اسم لمعنى آخر غير المعرفة والتصديق يؤول اليهما بالآخرة وعليهاهل التحقيق وستعرف ان لافرق بين المعرفة والتصديق والاعتقاد والتسليم والاقرار ايضا شرط فيه والقائلون بالثانى اختلفوا على ثلاثة مذاهب احدها انه يشترط معه معرفة القلب حتى لايكون الاقرار بدونها ايمانا وهو مذهب الرقاشى ثانيها يشترط معه التصديق وهو مذهب القطان ثالثها لايشترط معه شئ منهما وهو مذهب الكرامية فمن اضمر الكفر واظهر الايمان كالمنافقين فهو عندهم مؤمن لكن يستحق الخلود فى النار وبالعكس لايكون مؤمنا ومن اضمر الايمان ولم يتفق له الاقرار لايستحق دخول الجنة والخلاف بين المذاهب الثلاثة لفظى فى الحقيقة والقائلون بالثالث ليس بينهم خلاف وهو مذهب كثير من المحققين وهو المروى عن ابى حنيفة رحمهالله ويقع تارة منهم مكان التصديق علم وتارة معرفة وتارة اعتقاد وهذا يدل على ان الكل عندهم بمعنى واحد فمن صدق بقلبه و لم يتفق له الاقرار لايكون مؤمنا والقائلون بالرابع اختلفوا على اربعة مذاهب احدها ان العمل الذى هو فعل باقى الجوارح الجزء من الايمان هو فعل جميع الطاعات وهو مذهب ابى الهذيل والثانى فعل الواجبات وترك المحظورات فقط وتاركها خارج عن الايمان داخل فى الكفر وهو مذهب الخوارج والثالث

خارج عن الايمان غير داخل فى الكفر وهو المنزلة بين المنزلتين وهو مذهب المعتزلة والرابع داخل فى الايمان خارج عن الكفر وهو مذهب اكثر السلف وجميع ائمة الحديث وكثير من المتكلمين والمروى عن مالك والشافعى والاوزاعى رحمهم الله فالاعمال عندهم جزء من الكامل والا فانتفاء الشئ بانتفاء جزئه ضرورى فهذه اثنا عشر مذهبا اصحها الاول وعليه المعول وهو أنه اسم للتصديق فقط الذى هو غير المعرفة والعلم والاعتقاد لا انه اسم للاقرار فقط وليس الاقرار وحده اومع فعل الجوارح داخلا فيه ٢ اما انه غير المعرفة والعلم فلما قاله بعض المحققين من ان من الكفار من كان يعرف ولا يصدق كما قال تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم * وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم * وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ﴾ وبين الفرق بان المقابل للتصديق الانكار والتكذيب وللمعرفة النكرة والجهالة ولهذا قد يفسر بالتسليم وبالعكس وبان التصديق ربط القلب بما علم من اخبار المخبر وهو كسبى اختيارى ولهذا يؤمر به والمعرفة ربما تحصل بلا كسب وزاد بعضهم فقال المعتبر فى الايمان التصديق الاختيارى ومعناه نسبة الصدق الى المتكلم اختياراً وبهذا يمتاز عما جعل فى المنطق مقابلا للتصور لخلوه عن الاختيار فلا يكون تصديقا لغة فلا يكون ايمانا شرعاً كيف والتصديق مأمور به فيكون فعلا اختياريا هو ايقاع النسبة اختيارا والعلم كيف او انفعال انتهى وفى القلب من هذا كله شئ * اما اولا فلانه لو كان غير العلم والمعرفة لما حصل عقيب النظر والتقليد اللذين ليست ثمرتهما الا العلم والمعرفة اجماعا * واما ثانيا فلتعبير عظماء الملة وعلماء الامة عنه تارة بالاعتقاد وتارة بالعلم وتارة بالمعرفة ولو كان غير هذه الثلاثة لما صح ذلك منهم * واما ثالثا فلان عدم الاعتداد بايمان بعض من حصلت له تلك المعرفة كما فى الآيات السالفة ليس لعدم حصول التصديق اللغوى بل لعدم

٢ اى فى حقيقة الايمان منه

الاقرار الذى هو شرط فيه مع تمكنهم منه ولفظ الجحود والاستكبار والكتمان فى الآيات السابقة ينادى على هذا باعلى صوت وليت شعرى ما معنى الاستيقان فى الآية الثالثة هل هو الا التصديق اللغوى * واما رابعا فلان عدم مقابلة المعرفة للانكار ممنوع كيف وقد قال تعالى ﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴾ * واما خامسا * فلانه لو كان فعلا لا كيفا او انفعالا لما صح اتصاف المؤمن بالايمان الا حالة التصديق كما لا يخفى على من يعرف هذه المقولة واللازم باطل اجماعا اذ لا يزال متصفا به ما يطرأ عليه ضده * واما سادسا فلانه لو وجب ان يكون اختياريا لما صح ايمان الانبياء والملائكة لانه ضرورى لا اختيارى وهو باطل بل كفر وحديث صحة التكليف به انما هو لصحة تعلق القدرة بمباشرة اسبابه كالقاء النظر وصرف الذهن وتوجيه الحواس او التكليف به تكليف بايقاعه كما فى سائر الكيفيات فلا ينافى كونه غير مقدور * واما سابعا فلان ما فسر به هذا القائل لا يدل على مغايرته للتصديق المنطقى اذ لا يفهم من نسبة الصدق الى المتكلم اختيارا سوى الاذعان والقبول والادراك على ان ابن سينا فسر التصديق المنطقى بما معناه نسبة الحكم الى الصدق فالمآل واحد فتأمل واما انه اسم للتصديق القلبى دون الاقرار فلقوله تعالى ﴿ كتب فى قلوبهم الايمان * وقلبه مطمئن بالايمان * قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم * ولما يدخل الايمان فى قلوبكم ﴾ وفى الحديث ﷺ اللهم ثبت قلبى على دينك * ومن كان فى قلبه مثقال ذرة من حبة من خردل من ايمان ﷺ واما استدل به المخالف من قوله تعالى ﴿ فاثابهم الله بما قالوا جنات ﴾ حيث رتب ثواب دخول الجنة على القول * فجوابه ان ما ان كانت موصولة فالقول تحقيقا هو المعنى وان كانت مصدرية فالقول ان حمل على اللفظى فالثواب عليه لدلالته على وجود المعنى فى النفس وان حمل على النفسى فهو نفس التصديق ويدل على ماذكرنا ﴿ قوله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ﴾

حيث رتب على القول الخالى عن تصديق القلب العقاب بالنار والمخالف لايخالف فى ذلك وقوله تعالى ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين﴾ حيث نفى الايمان عمن اقرّ باللسان دون القلب واما ان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يكتفون من كل احد بمجرد الاقرار والتلفظ بكلمتى الشهادة حتى قال صلى الله عليه وسلم ﴿امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله﴾ فلانه يكفى فى حق احكام الدنيا يدل عليه آخر الحديث ﴿فاذا قالوا ذلك عصموا منى دمائهم واموالهم﴾ والنزاع فى احكام الآخرة واما ان الاقرار ليس جزأ من حقيقته فلما تقدم انه لانقل وللاجماع على صحة ايمان من صدق فادركه الموت من غير أن يتمكن من الاقرار واما ان الاعمال ليست جزأ منه فلعدم النقل ايضا وللنص والاجماع على انه لاينفع عند معاينة العذاب ويسمى ايمان اليأس ولامجال للاعمال حينئذ وللنصوص الدالة على الاوامر والنواهى بعد اثبات الايمان مثل ﴿ياايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ وشبهها وللنصوص الدالة على اجتماع المعاصى مع الايمان كقوله تعالى ﴿ولم يلبسوا ايمانهم بظلم * والذين آمنوا ولم يهاجروا * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * وان فريقا من المؤمنين لكارهون﴾ ولانه لوكان اسما لجميع الطاعات لانتفى بانتفاء بعضها فلم يكن من صدق واقرّ مؤمنا قبل الاتيان بالعبادات والاجماع على خلافه او لكل طاعة على حدة لزم ان يكون المنتقل من طاعة الى طاعة منتقلا من دين الى دين ولان النبى صلى الله عليه وسلم ما اجاب جبريل حين سئله الا بالتصديق دون الاعمال والجمهور على ان الاسلام والايمان واحد بمعنى رجوعهما الى القبول والاذعان للاجماع على انه يمتنع ان يأتى احد بجميع ما اعتبر فى الايمان ولايكون مسلما او بجميع ما اعتبر فى الاسلام ولايكون مؤمنا وعلى ان ليس للمؤمن حكم لايكون للمسلم ولاللمسلم

حكم لايكون للمؤمن وعلى ان دار الايمان دار الاسلام ودار الاسلام دار الايمان وعلى ان الناس كانوا فى عهده عليه السلام ثلاث فرق مؤمن وكافر ومنافق ولارابع ولشهادة النصوص كقوله تعالى ﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه﴾ والايمان مقبول اجماعا ولصحة الاستثناء منه كقوله تعالى ﴿فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ وسوق احد الاسمين مساق الآخر كقوله تعالى ﴿يمنون عليك ان اسلموا قل لاتمنوا علىّ اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان * ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون * ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وانتم مسلمون قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون﴾ الى غير ذلك من الآيات وذهب الحشوية وبعض المعتزلة الى تغايرهما لان متعلق الايمان الاخبار ومتعلق الاسلام الامر والنهى وتمسكوا بتفارقهما كقوله تعالى ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا﴾ وتعاطفهما كقوله تعالى ﴿ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات * فما زادهم الا ايمانا وتسليما﴾ وتخالفهما فى البيان بعد الاستفسار كحديث ﴿الايمان ان تؤمن بالله﴾ الى آخره ﴿والاسلام ان تقيم الصلوة﴾ الحديث والجواب عن الاول ان تغاير المفهوم كاف والمرجع الاذعان والقبول والتصديق كما يتعلق بالاخبار بالذات يتعلق بالاوامر والنواهى بمعنى كونها حقة واحكامها من الله تعالى وكذا التسليم وعن الثانى بان المراد انقياد الظاهر خوفا من السيف والكلام فى الاسلام المعتبر فى الشرع المقابل للكفر المنبئ عنه قولنا آمن فلان واسلم وعن الثالث بان مغايرة المفهوم كاف فى صحة العطف وبانه قد يكون للتفسير كما فى قوله تعالى ﴿اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ وعن الرابع بان المراد

السؤال عن شرائع الاسلام واحكامه التى هى اساس على ما وقع صحيحا فى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم قال لقوم وفدوا عليه ﴿اتدرون ما الايمان﴾ فقالوا الله ورسوله اعلم ﴿فقال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصيام رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس﴾ وكقوله صلى الله عليه وسلم ﴿الايمان بضع وسبعون شعبة فاعلاها كلمة لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق﴾ والصحيح الذى عليه الجمهور أن الايمان لا يزيد ولا ينقص لما انه اسم للتصديق البالغ حد اليقين وانما يتفاوت اذا جعل اسما للطاعات اذلا شك فى قبولها الزيادة والنقصان ولذا جعل الامام الرازى الخلاف فى زيادته ونقصه مبنيا على الخلاف فى انه اسم للطاعات جميعها او للتصديق فقط لكن الخلاف حينئذ يكون فى كمال الايمان لا فى اصله الذى هو محل النزاع مع انه لا يمشى على مذهب من يجعل ترك العمل خروجا عن الايمان واقول الحق ان الخلاف فى قبول الايمان الزيادة والنقصان فرع الخلاف فى انه غير العلم اليقينى زائدا عليه او نفسه فمن قال بالزيادة هنا والغيرية قال بزيادته ونقصانه هناك ومن قال بعدمهما هنا كما تقدم عن ابى حنيفة واصحابه من تعبيرهم عنه بالعلم والمعرفة والاعتقاد قال بعدمهما هناك اذلا يتصور فيه حينئذ زيادة ولا نقصان قطعا لانهما انما يكونان باحتمال النقيض واحتمال النقيض يخرجه عن كونه علما يقينيا وقد نبهناك على ان الايمان عين العلم اليقينى لا زائد عليه فالحق ماعليه الامام الاعظم واصحابه فحينئذ يكون الخلاف فى اصل الايمان الذى هو محل النزاع لكنه لفظى فاعرف واما ما استدل به المخالف من قوله ﴿تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا * ويزداد الذين امنوا ايمانا * ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم﴾ ومن قوله عليه السلام ﴿الايمان يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار﴾ ومن

لزوم مساواة ايمان آحاد الامة لايمان الانبياء عليهم السلام فجوابه ان المقصود بالزيادة الزيادة بحسب الدوام والثبات وكثرة الازمان والساعات والاعداد او المقصود زيادة ثمراته واشراق انواره فى القلب اوالزيادة بحسب زيادة مايجب الايمان به عند ملاحظة التفاصيل وتفصيله ماقال امام الحرمين لايفضل علم علما ولكن النبي يفضل من عداه باستمرار تصديقه وعصمة الله اياه من مخامرة الشكوك والتصديق عرض لايبقى فيقع له متواليا ولغيره على الفترات فثبت له اعداد منه لايثبت لغيره الا بعضها وايضا كانوا يؤمنون فى الجملة ويأتى فرض بعد فرض فيؤمنون بكل فرض خاص والناس متفاوتون فى ملاحظة التفاصيل كثرة وقلة فيتفاوت ايمانهم زيادة ونقصا نسئل الله الثبات عليه عند الممات ﴿ الباب الثانى ﴾ فى الآثار الواردة فى جواز تأخير الاجل وتقديمه وزيادة الرزق ونقصانه وعلى جواز تبديل الشقاوة بالسعادة وعكسه ونحو ذلك مما يتعلق به التبديل والتحويل وترتب الكل على الطاعة والمعصية ٢ فمنها ما اتفق على روايته كثير من المحدثين وهو قوله عليه السلام ﴿ الصدقة والصلة يعمران الديار ويزيدان فى العمر ﴾ فهذا صريح فى ترتيب تأخير الاجل وتعمير الديار بعد خرابها على الطاعة ومنها مارواه البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ من سره ان يبسط له فى رزقه وان ينسأ له فى اجله فليصل رحمه صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب والاحسان اليهم ﴾ قوله وان ينسأله فى اجله اى يؤخرله فيه فهذا ايضا صريح فيما هو المطلوب ومنها مارواه الترمذى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿ تعلموا من انسابكم ماتصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل ومثراة فى المال ومنسأة فى الاجل ﴾ قوله عليه السلام ﴿ مثراة فى المال ﴾ بالكسر اى مكثرة له اسم آلة من الثروة وهى كثرة العدد فى المال والزيادة فيه وقوله ﴿ منسأة فى الاجل ﴾

٢ اى على التوزيع منه

ايضا بالكسر اى مأخرة فيه ايضا اسم آلة شبه صلى الله عليه وسلم صلة الرحم لقوة سببيتها فى تكثير المال وتأخير الاجل وشدة تأثيرها فيهما بالالة التى يتأثر عنها الشىء المتأثر من حيث انها واسطة فى وصول اثر فعل الفاعل اليه ولولاها ماوصل اثره اليه ويروى ايضا مثراة ومأخرة بالفتح فيهما مفعلة يقال هذا مثراة للمال ومكثرة ومكثار له فهذا ايضا صريح فى ترتيب تأخير الاجل وتكثير الرزق على الطاعة ومنها مااخرجه البيهقى عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿من احب ان يمدّ الله فى عمره ويزيد فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه﴾ فهذا ايضا كسوابقه صريح فى المطلوب ومنها مارواه البيهقى فى شعب الايمان عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ﴿صدقة السرّ تطفىء غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وفعل المعروف يقى مصارع السوء﴾ وفى رواية ابن صصرى عن نبيط بن شريط عنه عليه الصلاة والسلام ﴿صدقة السر تطفىء غضب الله وصنايع المعروف تقى مصارع السوء وصلة الرحم تزيد فى العمر﴾ فهذان ايضا صريحان فيما هو المطلوب ومنها مارواه غير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا ﴿ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان برّاً تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث فى اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد فى اجل البعث﴾ وذلك قوله تعالى ﴿ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره الا فى كتاب﴾ ومنها مااخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا ﴿اللهم اغفر للمعلمين واطل اعمارهم فانهم يعلمون كتابك المنزل﴾ ومحال ان يطلب خير الامة المحال ومنها مااخرجه احمد وابن ماجه والنسائى عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ان العبد ليحرم

الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر﴾ فهذا صريح في حصر السببية لزيادة العمر وردّ القدر في الدعاء والطاعة كما انه صريح في تسبب حرمان الرزق عن الذنب وهو المطلوب ومنها ما اخرجه ابن مردويه وابن عساكر عن علىّ رضى الله عنه وكرم وجهه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت﴾ فقال عليه الصلاة والسلام ﴿لاقرن عينيك بتفسيرها ولاقرن عينى امتى بعدى بتفسيرها الصدقة على وجهها وبرّ الوالدين واصطناع المعروف يحول الشقاوة سعادة ويزيد فى العمر ويقى مصارع السوء﴾ قوله الصدقة على وجهها معناه على الوجه الذى شرعت فيه بان تكون لوجه الله تعالى لالغرض دنيوى ولامشوبة بمنّ ولااذى وان تكون من مال حلال وان تكون لمستحقيها الى غير ذلك من الشروط التى تذكر فى بابها وقوله ويقى مصارع السوء اى يحفظ من مصارع السوء جمع مصرع وهو الموضع الذى يصرع فيه الانسان اى يهلك فيه وهو مصدر ميمى بمعنى الهلاك اى تحفظه من الوقوع فى المهالك ولو وقع لابدأن تنجيه هذه الثلاثة وعلى كل تقدير فاضافة المصارع الى السوء يجوز أن تكون بيانية وان تكون لامية وهذا الحديث الشريف يدل على زيادة تأثير الصدقة وبرّ الوالدين واصطناع المعروف فى تبديل الشقاوة سعادة وزيادة العمر والحفظ من المهالك وعلى قوة سببيتها حيث اسند التحويل وما عطف عليه اليها وهو المطلوب ومنها مارواه الطبرانى عن رافع بن خديج عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ﴿الصدقة تسد سبعين بابا من السوء﴾ ومنها مارواه الخطيب فى تاريخه عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ﴿الصدقة تمنع سبعين نوعا من البلاء اهونها الجذام والبرص﴾ فهذان ايضا صريحان فى قوة سببية الصدقة لدفع ابواب السوء وانواع البلاء

وهو المطلوب ومنها مااخرجه البيهقى من طريق سلمة بن عبدالرحمن عن ابيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ﴿ ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونوا فجارا تنمى اموالهم ﴾ اى تتزايد ﴿ ويكثر عددهم ﴾ اى بكثرة اولادهم من نتاج ارحام نسائهم ﴿ اذا وصلوا الرحم وان اعجل المعصية عقابا البغى ﴾ اى قطيعة الرحم بدليل مقابله ﴿ واليمين الفاجرة ﴾ اى اليمين الغموس وهى ان يحلف الانسان على شئ يعلم وقوعه بانه ماوقع او يحلف على شئ يعلم عدم وقوعه بانه وقع ﴿ تذهب المال وتعقم الرحم وتذر الديار بلاقع ﴾ اى خراب ومنها ما اخرجه البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ان اهل البيت اذا تواصلوا اجرى عليهم الرزق فكانوا فى كنف الرحمة ﴾ فهذا الحديث الشريف وماقبله ايضا صريحان فى ان صلة الرحم هى اقوى سبب فى سرعة تزايد الاموال وتكثير الاولاد والادخال فى كنف الرحمة بمعنى انها تحيط بهم وتحفهم كما يحيط الظرف بالمظروف ويحفه كما ان الاول صريح ايضا فى ان قطيعة الرحم واليمين الفاجرة اقوى سبب فى سرعة اخذ الاموال واذهابها وتقليل الاولاد وتعقيم الارحام وتقليل التناسل وتخريب الديار وكلاهما المطلوب ومنها مااخرجه ابن عدى والبيهقى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ﴿ الزنا يورث الفقر ﴾ ومنها ماروى عن حذيفة بن اليمانى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ﴿ يامعشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة اما التى فى الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما التى فى الآخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار ﴾ ومنها مااخرجه احمد عن عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿ مامن قوم يظهر فيهم الزنا الا اخذوا بالسنة ﴾ اى قحط المطر والغلاء ﴿ وما من قوم

يظهر فيهم الرشا ﴾ جمع رشوة ﴿ الا اخذوا بالرعب ﴾ اى خوف العدو ومنها ما اخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ما نقص قوم المكيال والميزان الا سلط الله عليهم الجوع ﴾ ومنها ما اخرجه الترمذى وضعفه وابن عدى وابن مردويه والبيهقى فى شعب الايمان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ يا معشر التجار انكم وليتم امرا هلكت فيه الامم السالفة قبلكم المكيال والميزان ﴾ ومنها ما اخرجه الحاكم وصححه عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ما نقض قوم العهد قط الا كان القتل فيهم ولا ظهرت الفاحشة فى قوم الا سلط الله عليهم الموت ولا منع قوم الزكوة الا حبس الله عنهم القطر ﴾ فهذا وما قبله من الاحاديث الشريفة كل منهم صريح فى تسبب اذهاب البهاء والفقر ونقص العمر والرعب والجوع والهلاك والقتل والموت وحبس المطر عن الزنا والرشا ونقص المكيال ونقض العهد وظهور الفواحش ومنع الزكاة بطريق العموم للسببية فى هذه الاشياء فى كل وقت كما يفهم من ماوالا اى كلما نقض قوم العهد الى آخره وهو المطلوب فان قيل ألستم تزعمون ان المقتول ميت باجله كالميت حتف انفه فكيف يستقيم مع هذا المعنى ترتب القتل على نقض العهد فانه يدل على انه لو لم يوجد نقض العهد لما وجد القتل وهذا ينافى ان المقتول ميت باجله قلنا لا نسلم ان ترتب القتل على نقض العهد وتسببه عنه يدل على انه لو لم يوجد نقض العهد لما وجد القتل كيف وان انتفاء السبب لا يدل على انتفاء المسبب لجواز أن يكون المسبب اعم من السبب فلا ينتفى عند انتفائه ولو سلم بناء على ادعاء المساواة او بناء على ان نقض العهد شرط فى وجود القتل فلا نسلم ان قولنا لو لم يوجد نقض العهد لما وجد القتل ينافى قولنا المقتول ميت باجله وانما ينافيه لو دل على انه لو لم يقتل لعاش الى امد آخر هو اجله قطعا فيكون القاتل قد قطع عليه

اجله بالقتل كما هو مذهب المعتزلة فحينئذ يلزم ان يكون نقض العهد قد قطع عليه الاجل لانه سبب لوجود القتل السبب لقطع الاجل فيحصل المنافاة والحال انه لادلالة له على شيء من ذلك اصلا لجواز أن يقال انه لولم يقتل لمات حتف انفه ٧ فى ذلك الوقت قطعا كما هو مذهب ابى الهذيل فلا منافاة بين انتفاء الموت بالقتل بانتفاء نقض العهد و بين القطع بالموت حتف انفه فى ذلك الوقت لان الذى انتفى بانتفاء نقض العهد انما هوالموت بالقتل لاالموت حتف الانف وان يقال انه لو لم يقتل لجاز أن يموت فى ذلك الوقت اذا كان اجل موته متصلا باجل قتله وان لايموت فيه اذا كان اجل موته متراخيا عنه كما هو مذهب عامة الاشاعرة فحينئذ نقول لولم يوجد نقض العهد لما وجد القتل ولولم يوجد القتل لجاز أن يؤخر اجل الموت فنقض العهد رفع هذا الجواز ومنعه واوجب ضده وهوالموت بالقتل فى ذلك الوقت فمع عدم المنافاة على هذا المذهب يثبت المطلوب لانه اذا انتفى القتل بانتفاء نقض العهد يجوز أن يؤخر الاجل بدعاء اوطاعة على انه لامنافاة على المذهب الاول ايضا اذ القاتل انما قطع على المقتول الاجل الثانى الذى علم الله تعالى ان ذلك العبد سيؤخر اليه لولم يقتل لاالاجل الاول الذى علم الله انه سيقتل فيه بسبب نقض العهد مثلا وتفصيل الكلام فى هذا المقام ان فى المقتول ثلاثة مذاهب احدها ان له اجلين اجل القتل بسبب عارضى واجل الموت حتف انفه بانتفاء ذلك السبب فلولم يقتل لعاش الى اجل اخر قطعا هو اجل الموت حتف انفه فيكون القاتل قد قطع عليه اجله الثانى بالقتل لاالاول فمعنى المقتول ميت باجله انه ميت باجله الاول الذى هو اجل القتل لاالثانى الذى هو اجل الموت حتف انفه وهو مذهب المعتزلة الثانى ان له اجلا واحدا مطلقا هو اجل الموت وهو الوقت الذى قتل فيه ولابد ان يموت فيه سواء وجد القتل اولم يوجد فلولم يقتل لمات قطعا فى ذلك

٧ قديتوهم ان لو هنا مثلها فى لولم يخف الله لم يعصه ومنشأه الغفلة عن الموت حتف الانف فافهم

الوقت وعليه فمعنى المقتول ميت باجله واضح وهو مذهب ابى الهذيل والثالث ان للمقتول اجلا واحدا هو اجل الموت لامطاقا بل بشرط القتل ولابد أن يموت فيه بالقتل فلو لم يقتل لم نقطع بموته فى ذلك الوقت او بعدم موته فيه ٨ لجواز أن يكون زمن موته متراخيا عن زمن القتل وان يكون متصلا فيه وعليه فمعنى المقتول ميت باجله انه مقتول باجل علم الله انه يقتل فيه وهو مذهب جمهور الاشاعرة وعلى المذاهب الثلاثة لامنافاة بين قولنا لو لم يوجد نقض العهد لما وجد القتل وقولنا المقتول ميت باجله بل مع عدم المنافاة على المذهب الثالث يثبت المطلوب كما عرفت فان قلت اذا كان الاجل عبارة عن زمان بطلان الحياة فى علم الله لم يكن للمقتول اجلان قطعا وان قيد بطلان الحياة بان لايترتب على فعل من العبد كالقتل مثلا كان له اجلان قطعا من غير تصور خلاف فيكون الخلاف لفظيا وقد قال به الاستاذ وكثير من المحققين قلنا المقصود باجل المقتول المضاف اليه هو زمن بطلان حياته بحيث لامحيص عنه ولا تقدم ولاتأخر ومرجع الخلاف ان ذلك هل يتحقق فى حق المقتول ام المعلوم فى حقه انه ان قتل مات وان لم يقتل فالى وقت هو اجل له فان قيل فيلزم على الاول القطع بالموت ان لم يقتل كما ذهب اليه ابو الهذيل وعلى الثانى القطع بامتداد العمر كما ذهب اليه المعتزلة فلا يكون لما ذهب اليه الاشاعرة وجه قلنا نمنع لزوم الثانى لجواز أن لايكون الوقت الذى هو اجل الموت متراخيا عن اجل القتل بل متصلا فيه كما عرفت واما الاول فيمكن دفعه بان يقال ان عدم القتل سيما مع تعلق علم الله بانه يقتل محال لايبعد أن يستلزم محالا هو انقلاب الاجل واما مع تعلق علم الله تعالى بانه لايقتل فانتفاء القطع بكون ذلك الوقت هو الاجل واضح لان القطع بذلك انما كان من جهة القطع بالقتل فمع عدم القطع به بل القطع بعدمه ينتفى القطع بكون ذلك الوقت هو الاجل فمذهب الاشاعرة له

٨ الفرق بين هذا المذهب والمذهب الاول ان الاجل الثانى مقطوع به على الاول وغير مقطوع به على هذا المذهب منه

وجه وجيه فتأمل فى هذا المقام فانه من مطارح الافهام * واعلم ان للمعتزلة حجة قوية على ان للمقتول اجلين وعلى فساد القول بانه لو لم يقتل لوجب ان يموت فى ذلك الوقت قطعا وهى قوله تعالى ﴿ ولكم فى القصاص حيوة ﴾ قال الامام الرازى فى التفسير الكبير احتجت المعتزلة على فساد قول اهل السنة فى قولهم ان المقتول لو لم يقتل لوجب ان يموت قالوا اذا كان الذى يقتل يجب ان يموت لو لم يقتل فهب ان شرع القصاص يزجر من يريد أن يكون قاتلا عن الاقدام على القتل لكن ذلك الانسان يموت سواء قتله هذا القاتل او لم يقتله فحينئذ لا يكون شرع القصاص مفضيا الى حصول الحياة فان قيل انا انما نقول فيمن قتل لو لم يقتل كان يموت لا فيمن اريد قتله وان لم يقتل فلا يلزم ماقلتم قلنا أليس يقال فيمن قتل لو لم يقتل كيف يكون حاله فاذا قلتم كان يموت فقد حكمتم فى ان من حق كل وقت صح وقوع قتله ان يكون موته كقتله وذلك يصحح ماالزمناكم به هذا كله الفاظ القاضى انتهى مافى التفسير الكبير * اقول وانت تعلم مما حررناه لك من المذاهب الثلاثة ان هذه الحجة غير قائمة على اهل السنة لعدم منافاتها لمذهبهم اذ يجوز أن يكون اجل موت المقتول على تقدير عدم قتله متراخيا عن اجل القتل فحينئذ يجوز أنه لو لم يقتل لعاش الى امد آخر هو اجل الموت فلا ينافيه كون شرع القصاص مفضيا الى حصول الحياة وانما ينافى مذهب ابى الهذيل اذهو القائل بان المقتول لو لم يقتل لوجب ان يموت وكان الامام اراد باهل السنة بعضهم الموافق لابى الهذيل لاجمهورهم لكن الآية ظاهرة فى مذهب المعتزلة اذ الاصل العموم وانما يستقيم هذا الاصل قطعا على مذهبهم واما على مذهب اهل السنة فيستقيم جوازا لا قطعا ولهذا لم يتعرض الامام للجواب عن هذه الحجة مع شدة حرصه وقوة تمكنه من المصادمة والمزاحمة لهم والكر والفر معهم وتتبع الصد والرد عليهم حتى انه لم يبق للقوس من منزع ولا للسهم من مرمى وسبب اطلاع

الفقير على هذا الدليل المنير مع انه غير محرر فى الكتب الكلامية المعتبرة المطولة والمختصرة ان حضرة الذكى الالمعى * والفاضل اللوذعى * من هو لهذا التأليف كالعلة الغائية * حضرة ذى العطف والعطوفة سعدى بك افندى لاحظه الله تعالى بعين العناية * ورعاه اكمل الرعاية * وحماه ووقاه احمى حماية * واوقى وقاية * كان قد تكلم مع الفقير فى هذا البحث على وجه تحقيق ان اى المذاهب الثلاثة هو الحق فاقمت البرهان الساطع * والدليل اللامع * على ان مذهب اهل السنة هو الحق القاطع فعارضنى على البداهة بهذه الآية الكريمة والحجة المستقيمة فلم يبق لى ملجأ الجأ اليه ولا مستند اعول عليه غير تفسير الامام فوجدت ما ترى فيه من الكلام ولله دره على هذا الفكر الوقاد * والذهن النقاد * كأنه شهاب ثاقب يضئ على سائر الكواكب والله هو الموفق للصواب واليه المرجع والمآب * ومنها ما اخرجه ابن جرير وابن مردويه عن الكلبى فى قوله تعالى ﴿يمحو الله مايشاء ويثبت﴾ قال يمحو من الرزق ويزيد فيه ويمحو من الاجل ويزيد فيه فقيل له من حدثك بهذا قال ابو صالح عن جابر بن عبد الله بن رياب الانصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم * ومنها ما اخرجه ابن جرير عن الضحاك فى الآية قال يقول انسخ ماشئت واصنع فى الآجال ماشئت ان شئت زدت فيها وان شئت نقصت وعنده ام الكتاب جملة الكتاب وعلمه يعنى بذلك ماينسخ ومايثبت فهذان الاثران صريحان فى المطلوب * ومنها ما اخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ﴿لاينفع الحذر من القدر ولكن الله يمحو بالدعاء مايشاء من القدر﴾ * ومنها ما اخرجه احمد عن معاذ رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ﴿لن ينفع حذر من قدر ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل﴾ فهذان صريحان فى تسبب دفع القدر الذى هو تعيين المقضى فى وقت معين عن الدعاء وسيجئ تحقيق القضاء والقدر ان شاء الله تعالى * ومنها ما اخرجه الخطيب وابن عساكر عن ابن

عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ﴿ كان فى بنى اسرائيل ملكان استوليا على مدينتين وكان احدهما بارا برحمه عادلا على رعيته وكان الاخر عاقا برحمه جائرا على رعيته وكان فى عصرهما نبى فاوحى الله الى ذلك النبى انه قد بقى من عمر هذا البار ثلاث سنين ومن عمر هذا العاق ثلاثون سنة فاخبر النبى عليه السلام رعية هذا العادل ورعية ذاك الجائر فاحزن ذلك رعية العادل واحزن ذلك رعية الجائر ففرقوا بين الامهات والاطفال وتركوا الطعام والشراب وخرجوا الى الصحراء يدعون الله ان يمتعهم بالعادل ويزيل عنهم الجائر فاقاموا ثلاثا فاوحى الله الى ذلك النبى ان اخبر عبادى انى قد رحمتهم واجبت دعاءهم فجعلت مابقى من عمر هذا البار لذلك الجائر ومابقى من عمر الجائر لهذا البار فرجعوا الى بيوتهم ومات العاق لتمام ثلاث سنين وبقى العادل فيهم ثلاثين سنة ﴾ ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره الا فى كتاب ﴾ فانظر كيف اغاثهم الله تعالى وازال احزانهم بخلوص النية والدعاء وقصم عمر صاحب الثلاثين ٢ الى العشر وضاعف عمر صاحب الثلاثة ٣ الى العشر * ومنها ما اخرجه ابن ابى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم عن مجاهد قال ﴿ قالت قريش حين انزل ﴿ وماكان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله ﴾ مانراك يامحمد تملك من شىء ولقد فرغ من الامر فانزلت هذه الآية تخويفا ووعيدا لهم يمحو الله مايشاء ويثبت انا ان شئنا احدثنا له من امرنا ماشئنا ويحدث الله فى كل رمضان فيمحو مايشاء ويثبت من ارزاق الناس ومصائبهم ومايعطيهم ومايقسم لهم ﴾ فهذا صريح فى تبديل ارزاق الناس ومايصيبهم ومايعطى لهم ومايقسم وهو المطلوب * ومنها ما اخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ﴿ ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمس مائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوت والدفتان ٤ لوحان لله كل يوم ثلاث وستون لحظة يمحو مايشاء

٢ اى منتهيا ذلك القصم الى عشر الثلاثين وهى الثلاثة منه

٣ اى منتهيا ذلك التضعيف الى العشر منه

٤ قوله والدفتان لوحان يحتمل ان يكون من كلام ابن عباس ويحتمل ان يكون من كلام الراوى عنه

ويثبت وعنده ام الكتاب ﴾ ومنها ما اخرجه ابن جرير وابن ابى حاتم وابن مردويه والطبرانى عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ان الله ينزل ﴾ اى نزولا يليق بذاته كما هو رأى السلف او ينزل نزول تجل من التجليات لانزوله جرم من المخلوقات بمعنى انه تعالى يتنزل فى تجليه على قدر استطاعة المتجلى عليه لاعلى حسب عظمته التى هى مستندة اليه كما هو مذهب الخلف والا لجعل كل شىء تجلى له دكا ﴿ فى ثلاث ساعات يبقين من الليل ﴾ اى فى كل واحدة منهن ينزل مرة والمراد بالساعة هنا الساعة التى هى لحظة من الزمان لا الساعة الفلكية التى هى عبارة عن جزء من اربعة وعشرين جزأ من مقدار دورة فلك ﴿ فينسخ الذكر ﴾ وهو اللوح ﴿ فى الساعة الاولى منها ﴾ اى من تلك الساعات الثلث وكيفية النسخ ما قال صلى الله عليه وسلم ﴿ ينظر فى الذكر الذى لاينظر فيه احد غيره ﴾ اى يلحظه بالتجلى والا فلا يغيب عن نظره شىء كما لايغيب عن علمه شىء ﴿ فيمحو مايشاء ويثبت ثم ينزل الساعة الثانية الى جنة عدن وهى داره التى لم ترها عين ﴾ اى من اعين البشر ﴿ ولا تخطر على قلب بشر لايسكنها من بنى آدم غير ثلاث النبيين والصديقين والشداء ثم يقول طوبى لمن دخلك ثم ينزل الساعة الثالثة الى السماء الدنيا بروحه ﴾ وهو رئيس الملائكة جبرئيل ويجوز أن يكون الروح الاكبر وهو غير جبريل عليهما السلام ﴿ وملائكته فتنتفض ﴾ اى تزدحم فتثقل من كثرة الملائكة ﴿ فيقول قومى بعزتى ﴾ اى تثبتى ﴿ ثم يطلع على عباده فيقول هل من مستغفر فاغفر له هل من داع اجيبه حتى يصلى الفجر وذلك قوله تعالى ﴿ ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ يقول يشهده الله وملائكة الليل والنهار ﴾ ومنها ما اخرجه ابن جرير عن قيس بن عباد قال ﴿ العاشر من رجب هو يوم يمحو الله فيه مايشاء ﴾ ومنها ما اخرجه ابن المنذر وابن ابى حاتم والبيهقى

فى شعب الايمان عن قيس بن عباد قال ﴿ لله امر فى كل ليلة العاشر من الشهر الحرام اما العشر من الاضحى فيوم النحر واما العشر من المحرم فيوم عاشوراء واما العشر من رجب ففيه يمحو الله مايشاء ويثبت ونسيت ماقال فى ذى القعدة ﴾ اراد أن كل يوم عاشر من كل شهر من الاشهر الحرم له خصوصية وامر مبارك من الله تعالى فاما العاشر من شهر ذى الحجة فيوم عيد ونحر وبركة وغفران واما العاشر من شهر محرم فيوم غفران وسعة كذلك واما العاشر من شهر رجب فيوم محو للشقاوة واثبات للسعادة ونسى ماقال فى اليوم العاشر من شهر ذى القعدة * فان قلت قد اضطربت الآثار فى تعيين وقت النسخ * فمنها كالحديث السابق مايدل على انه فى رمضان * ومنها مايدل على انه كل يوم ومنها مايدل على انه فى الساعة الاولى من الساعات الثلاث * ومنها مايدل على انه فى اليوم العاشر فى شهر رجب فبأيها نأخذ * قلت نأخذ بالكل اذلامانع من ان يكون النسخ فى الساعة الاولى من الساعات الثلاث التى تبقى من الليل والنسخ فى رمضان وفى اليوم العاشر من رجب داخل فى النسخ الذى هو من آثار الثلاث وستين لحظة فى كل يوم وتخصيص رمضان واليوم العاشر من رجب والساعات الثلاث من الليل بالذكر لاظهار شرف رمضان على الشهور والعاشر من شهر رجب على الايام والساعات الثلاث على بقية الساعات ولا مانع ايضا من ان تكون خارجة عنه زيادة على اثر الثلاث وستين لحظة اذلادلالة للحديث على عدم النسخ خارجها * ومنها اخرجه ابن جرير ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن ابى حاتم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ قال ﴿ من احد الكتابين يمحو مايشاء من احدهما ويثبت ﴾ ﴿ وعنده ام الكتاب ﴾ ﴿ اى جملة الكتاب ﴾ فالمقصود من احد الكتابين الذى يمحو منه مايشاء ويثبت هو اما اللوح المحفوظ او الصحف التى بايدى

الملائكة التى فيها الاعمال والكتاب الذى لايدخله محو ولااثبات هو اما العلم الازلى لما تقدم انه قال لعلمه كن كتابا فكان كتابا واما الصحيفة التى يكتب فيها عمله واجله ورزقه وأشقى ام سعيد من بطن امه لانها عنوان للعلم الازلى كما قررناه سابقا لكن قوله ﴿ وعنده ام الكتاب ﴾ اى جملة الكتاب يرجح ان المقصود بالكتاب الذى لا يدخله محو ولا اثبات هو الصحيفة لا العلم الازلى فتفكر * ومنها ما اخرجه ابن ابى شيبة فى المصنف وابن ابى الدنيا فى الدعاء عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ﴿ مادعا عبد قط بهذه الدعوات الاوسع الله له فى معيشته ياذا المن ولايمن عليه ياذا الجلال والاكرام ياذا الطول لااله الا انت ظهر اللاجين وجار المستجيرين وأمن الخائفين ان كنت كتبتنى عندك فى ام الكتاب شقيا فامح عنى اسم الشقاء واثبتنى عندك سعيدا وان كنت كتبتنى عندك فى ام الكتاب محرما مقترا علىّ فى رزقى فامح حرمانى ويسر رزقى واثبتنى عندك سعيداً موفقا للخيرات فانك قلت فى كتابك الذى انزلت ﴿ يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ﴾ ومنها مااخرجه عبد الله بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال وهو يطوف فى البيت ﴿ اللهم ان كنت كتبت علىّ شقاوة اوذنبا فامحه فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك ام الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة ﴾ * ومنها مااخرجه ابن جرير عن كعب انه قال لعمر رضى الله عنهما ﴿ ياامير المؤمنين لولا آية فى كتاب الله لانبئتك بماهو كائن الى يوم القيمة قال وماهى قال قول الله تعالى يمحوالله مايشاء ويثبت ﴾ معناه ان الله تعالى علمنى ماهو كائن بواسطة الكتب الالهية او بغيرها لكن لما كانت هذه الآية تدل على المحو والاثبات فانا لاانبئك بما اعلم لانه يجوز أن يبدل الله ما اعلم انه واقع على كيفية كذا ولايوقعه اويوقعه على غير الكيفية التى اعلم وقوعه عليها فانظر

الى هذه الدعوات من مثل هولاء الذوات والى قول كعب الاحبار الذى عنده علم الكتاب هل يدلان على انه تعالى يمحو ويثبت وهو مطلق فى افعاله لايتقيد بشئ ام لا ﴿قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ * ومنها ما اخرجه ابن مردويه ويعقوب ابن سفيان وابو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ﴿كان ابو رومى من شر اهل زمانه وكان لايدع شيئا من المحارم الا ارتكبه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول لئن رأيت ابا رومى فى بعض ازقة المدينة لاضربن عنقه وان بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اتاه ضيف فقال لامرأته اذهبى الى ابى رومى وخذى لنا منه بدرهم طعاما حتى ييسر الله فقالت له انك لتبعثنى الى ابى رومى وهو من افسق اهل المدينة فقال اذهبى فليس عليك منه بأس ان شاء الله فانطلقت اليه فضربت عليه الباب فقال من هذا قالت فلانة قال ما كنت لنا بزوارة ففتح لها الباب فاخذها بكلام رفث ومد يده اليها فاخذها رعدة شديدة فقال لها ماشانك قالت ان هذا عمل ما عملته قط قال ابو رومى ثكلت ابا رومى امه هذا عمل عمله منذ هو صغير لاتأخذه رعدة ولايبالى على ابى رومى عهد الله ان عاد لشئ من هذا ابدا فلما اصبح غدا على النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأه النبى صلى الله عليه وسلم من بعيد قال مرحبا بابى رومى واخذ يوسع له المكان فقال له ياابا رومى ما عملت البارحة قال ما عسى ان اعمل يا نبى الله انا شر اهل الارض فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله حول مكتبك الى الجنة فقال يمحو الله مايشاء ويثبت﴾ فهذا صريح فى ان مكتبه قد كان فى النار ثم حول الى الجنة * ومنها ما اخرجه ابن حميد وابن المنذر وابن ابى حاتم عن قتادة فى قوله تعالى ﴿لئن شكرتم لازيدنكم﴾ قال ﴿حق على الله ان يعطى من سئله ويزيد من شكره والله منعم يحب الشاكرين فاشكروا

الله على نعمه ﴿ معناه ان الله تعالى اوجب على نفسه ذلك تفضلا منه واحسانا والافلا يجب على الله شئ وايجاب الشئ الذى اوجبه على نفسه الفاعل المختار بالاختيار لاينافى الاختيار بل هوعين الاختيار * ومنها مااخرجه ابن النجار فى تاريخه والضياء المقدسى فى المختار عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ من الهم خمسا لم يحرم خمسا من الهم الدعاء لم يحرم الاجابة لان الله تعالى يقول ادعونى استجب لكم ومن الهم التوبة لم يحرم القبول لان الله تعالى يقول وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ومن الهم الشكر لم يحرم الزيادة لان الله تعالى يقول لئن شكرتم لازيدنكم ومن الهم الاستغفار لم يحرم المغفرة لان الله تعالى يقول استغفروا ربكم انه كان غفارا ومن الهم النفقة لم يحرم الخلف لان الله تعالى يقول وما انفقتم من شئ فهو يخلفه ﴿ فانظر الى ترتيب هذه الخمسة على الخمسة أفيها مايدل على ازدياد الرزق ام لا وقد روى الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه وابن مردويه عن ابن مسعود عنه عليه الصلاة والسلام مايضاهيه وابن ابى الدنيا والبيهقى فى شعب الايمان عن ابى زهير يحيى بن عطارد بن مصعب عن ابيه عنه عليه الصلاة والسلام مايقرب منه * ومنها مااخرجه البيهقى عن انس رضى الله عنه ﴿ ان سائلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فاعطاه تمرة فقال الرجل سبحان الله نبى من الانبياء يتصدق بتمرة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اوما علمت ان فيها مثاقيل ذر كثيرة فاتاه آخر فاعطاه تمرة فقال تمرة من نبى لاتفارقنى هذه التمرة مابقيت ولا ازال ارجو بركتها ابدا فامر له النبى صلى الله عليه وسلم بمعروف ﴿ اى بعث الجارية الى ام سلمة رضى الله عنها ان تعطيه اربعين درهما كما فى رواية

احمد ﴿ وما لبث الرجل ان استغنى ﴾ فانظر الى بركة الشكر ما اسرعه لجلب الزيادة * ومنها ما اخرجه ابو نعيم فى الحلية من طريق مالك ابن انس رضى الله عنهما عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم قال ﴿ لما قال له سفيان الثورى حدثنى قال اما انى احدثك وما كثرة الحديث لك بخير ياسفيان اذا انعم الله عليك بنعمة فاحببت بقائها ودوامها فاكثر من الحمد والشكر عليها فان الله تعالى قال فى كتابه لئن شكرتم لازيدنكم واذا استبطأت الرزق فاكثر من الاستغفار فان الله تعالى قال فى كتابه استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ياسفيان اذا احزنك امر من سلطان اوغيره فاكثر من لاحول ولاقوة الا بالله فانها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة ﴾ * ومنها ما روينا بسندنا من طريق الشيخ عبد الرحمن الكزبرى الشامى عن اشياخه عن موسى بن سهل عن الربيع قال ﴿ لما استوفت الخلافة لابى جعفر المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال لى يا ربيع ابعث الى جعفر بن محمد بن زين العابدين ابن الحسين سبط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فقمت من بين يديه وقلت اى بريه تريد أن تفعل واوهمته انى افعل ثم اتيته بعد ساعة قال الم اقل لك ابعث الى جعفر بن محمد فوالله لتأتينى به ولاقتلنه شر قتلة قال فذهبت اليه فقلت يا اباعبد الله اجب امير المؤمنين فقام معى فلما دنونا من الباب قام فحرك شفتيه ثم دخل فسلم فلم يرد عليه ووقف فلم يجلسه ثم رفع رأسه فقال ياجعفر انت الذى آليت[٣] وكثرت حدثنى ابى عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ﴿ ينصب للغادر لواء يعرف به ﴾ فقال جعفر حدثنى ابى عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ﴿ ينادى مناد يوم القيمة من بطنان اوقال من بطان العرش الا فليقم من كان اجره على الله فلا يقوم من عباده الا المتفضلون ﴾ فما زال

[٣] من الألية وهى اليمين منه

يقول حتى سكن مابه ولان قال له اجلس ابا عبدالله ارتفع اباعبدالله ثم دعا بمدهن غالية فدافه بيده والغالية تقطر من بين اصابع امير المؤمنين قال انصرف ابا عبدالله فى حفظ الله وقال لى يا ربيع اتبع اباعبدالله جائزته واضعفها قال فخرجت فقلت اباعبدالله تعلم محبتى لك قال انت منا حدثنى ابى عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ﴿ مولى القوم منهم ﴾ فقلت اباعبدالله شهدت مالم تشهد ووسمعت مالم تسمع وقد دخلت ورأيتك تحرك شفتيك عند دخولك اليه قال دعاء كنت ادعو به فقلت له دعاء حفظته عند دخولك اليه ام شيء تأثره عن آبائك الطاهرين قال بل حدثنى ابى عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم اذا حزنه امر دعا بهذا الدعاء وكان يقول ﴿ دعاء الفرج اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام واكنفنى بكنفك الذى لايرام وارحمنى بقدرتك علىّ انت ثقتى ورجائى فكم من نعمة انعمت بها علىّ قلّ لك بها شكرى وكم من بلية ابتليتنى بها قلّ لك بها صبرى فيا من قل عند نعمته شكرى فلم يحرمنى ويا من قلّ عند بلائه صبرى فلم يخذلنى ويامن رأنى على الخطايا فلم يفضحنى اسئلك ان تصلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم اعنى على دينى بدنياى وعلى آخرتى بالتقوى واحفظنى فيما غبت عنه ولا تكلنى الى نفسى فيما حضرت يامن لاتضره الذنوب ولاتنقصه المغفرة هب لى مالا ينقصك واغفر لى مالا يضرك يا آلهى اسئلك فرجا قريبا وصبرا جميلا واسئلك العافية من كل بلية واسئلك تمام العافية واسئلك الشكر على العافية واسئلك الغنى على الناس ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ﴾ فانظر ماأسرع الفرج والغنيمة بعد هذا الدعاء الشريف * ومنها مااخرجه احمد وابو داود والنسائى وابن ماجه والحكيم الترمذى وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ﴿ من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ومنها مارواه ذوالنون عن سلم الحواص والدار قطنى فى السنن والديلمى والرافعى وابن النجار عن على كرم الله وجهه وابو نعيم فى الحلية عن مالك كلاهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ﴿ من قال كل يوم مائة مرة لا اله الا الله الملك الحق المبين كان له امانا من الفقر وانسا من وحشة القبر واستجلب بها الغنى واستقرع بها باب الجنة ﴾ * ومنها مااخرجه الطبرانى وابن مردويه عن معاذ بن جبل رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿ يا ايها الناس اتخذوا تقوى الله تجارة يأتكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة ثم قرأ ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ فقد رتب صلى الله عليه وسلم الفرج من الهم والمخرج من الضيق واتيان الرزق بالسهولة على الاستغفار والتقوى * ومنها مارواه الشعبى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل ما سمعناك استسقيت فقال ﴿ طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها القطر ﴾ ثم قرأ قوله تعالى ﴿ استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ﴾ قوله بمجاديح جمع مجدح وهو نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هى ثلاثة كواكب كالاثا فى تشبيها بالمجدح الذى له شعب ثلاث وهى ٢ عند العرب من الانواء الدالة على المطر شبه عمر رضى الله عنه الاستغفار بالانواء مخاطبة لهم بما يعرفونه وكانوا يزعمون ان من شأنها المطر لا انه يقول بالانواء وعن الحسن ان رجلا شكى اليه الجدب فقال له ﴿ استغفر الله ﴾ وآخر الفقر وقلة النسل فقال له ﴿ استغفر الله ﴾ وآخر قلة ريع ارضه فقال له ﴿ استغفر الله ﴾ فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون انواعا فأمرتهم كلهم

٢ اى تلك الكواكب الثلاث منه

بالاستغفار فتلا هذه الآية * ومنها ما اخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة ان ابن عباس رضى الله عنهما كان يقول ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ﴿ لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه ليس به الا مخافة الله الا ابدله الله فى عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك ﴾ فالتبديل بالاحسن مسبب عن مخافة الله تعالى وهو المطلوب * ومنها ما اخرجه الطبرانى فى الاوسط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ﴿ من جاع واحتاج فكتمه الناس وافضى به الى الله كان حقا على الله ان يفتح له قوت سنته من حلال ﴾ ومنها ما اخرجه احمد فى الزهد عن وهب قال ﴿ يقول الله تعالى فى بعض كتبه انى مع عبدى حتى يطيعنى اعطيه قبل ان يسألنى واستجيب له قبل ان يدعونى وان توكل علىّ عبدى لوكادته السموات والارض جعلت له من بين ذلك المخرج ﴾ والآثار الواردة فى هذا المطلب تضيق عن حصرها هذه الرسالة وفيما ذكرناه كفاية * واعلم ان هذه الترتبات والتسببات لزيادة العمر والرزق ولمحو الشقاوة وعكسها على الدعاء والطاعة او المعصية معناها ان الله تعالى يوجد هذه الاشياء الخيرية او الشريرة عند وجود الطاعة او المعصية فتكون الطاعة والمعصية اسبابا عادية لوجود هذه الاشياء ولا بأس بذلك فانه امر ممكن وقد اخبر عن وقوعه الصادق فوجب علينا الاعتقاد به والعمل بموجبه اذ قد اخبرنا عن الغيبيات التى هى مستحيلة عقلاً عند بعض وعادةً عند البعض الآخر كالاستواء على العرش ورؤية المؤمنين لذاته تعالى فى الآخرة وككونه تعالى معنا وكونه ينزل الى السماء الدنيا وكونه له يد ووجه وكتعذيب الميت فى قبره مع كونه بلا روح وكوزن الاعمال يوم القيمة مع انها اعراض لا تقوم بذاتها وكمشى الخلائق على الصراط مع انه احدّ من السيف وادق من الشعرة الى غير ذلك مما هو مستحيل عقلا عند اكثر الملل

وعادة عند الكل ومع هذا فقد صدقنا بها وفوضنا امرها وعلمها اليه تعالى كما هو الحق ومذهب السلف فلاى شئ لا نصدق بهذه الترتيبات مع انها امور ممكنة وقد أخبر عنها الصادق صلى الله عليه وسلم فالتصديق بها اقرب الى العقل من التصديق بما مضى ولو فرضنا محاليتها لا ينتفى عنا وجوب التصديق بها ايضا وقد اخبرنا الله ورسوله عنها فى ما مضى من الآيات والآثار غاية ما فى الباب نكل علمها الى الله تعالى ولا نبحث عنها ولا نجحدها فنكون مكذبين لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من ذلك * فان قيل اذا كان الدعاء من الامور التى تجلب الخير والسعادة وتدفع الشر والشقاوة بل ربما تدفع القدر كما قررته فما بالنا ندعو ونتضرع فى دفع بعض الاشرار والاقدار فلا تدفع عنا مع ان الله تعالى وعدنا بالاجابة والله لا يخلف الميعاد * قلت ذلك لفقد بعض شروط اجابة الدعاء اذ الاجابة لها شروط * منها الاكل من الحلال والكسب منه فقد ورد عنه صلى الله عليه عليه وسلم ﴿من اكل لقمة من الحرام لن يقبل عمله﴾ وفى رواية ﴿دعاءه اربعين يوما﴾ هذا اذا اكل لقمة من الحرام فكيف اذا كان غذاء جسده كله بل منشأه من حرام * ومنها احضار القلب فى الدعاء بان يعلم معنى مايدعو به عند الدعاء * ومنها اخفاء الصوت كما قال تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾ ومنها اعتقاد الاجابة لا ان يكون الداعى مشككا فى تحقق الاجابة لايدرى انه هل يستجاب له ام لا فيلزم عليه ان يوطن قلبه على حسن الظن بالله تعالى انه يستجيب له لان الله تعالى عند حسن ظن العبد به بل يجب عليه عقد قلبه على تحقق الاجابة من غير توهم خلافها والا فلا يكون مصدقا بما اخبر به القرآن فلا يتم له الايمان الى غير ذلك من الشروط التى تذكر فى محلها فلتراجع فاذا وجدت الشروط باسرها وجدت الاجابة لامحالة واما ما قاله البعض من ان الله تعالى يؤخر المطلوب الى وقت آخر او يعطيه عوضه

فى الدنيا او فى الآخرة فعندى انه خلاف الظاهر لان معنى الاجابة اعطاء المطلوب للطالب على الصفة التى طلب عليها وفى الوقت الذى طلب فيه كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن ﴾ بعد قوله تعالى حاكيا قول يوسف عليه السلام ﴿ والا تصرف عنى كيدهن ﴾ الآية وعلى نحو هذه الآية مما يدل على ان معنى الاجابة ما قلناه فى القرآن العظيم كثير فاذا اعطى سبحانه الداعى غير مطلوبه او اعطاه مطلوبه على غير الصفة التى طلب عليها لم يكن مستجيبا دعاءه اذ ذاك فيلزم خلف الوعد من الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانكر بعض العلماء جواز زيادة العمر والرزق ونقصهما وحملوا الآيات والآثار الواردة فى ذلك على المعنى المجازى واخرجوها عن المعنى الحقيقى وقالوا معنى ازدياد العمر هو رؤية البركة فيه بالصحة والعافية والانفاس الطيبة واللذة فيه وتيسير عمل الطاعات الكثيرة واكتساب الذكر الجميل بالافعال الحسنة وكذا معنى زيادة الرزق هو البركة فيه والتلذذ فى الاكل منه وانفاقه فى محاله واكتسابه من الحلال بالسهولة وصفاء العيش فيه وخلوه عن شوائب الكدر ونقصهما بعكس هذه الاحوال قالوا لانه اذا كان الله تعالى قد علم فى الازل واراد وقدر فيه ان العبد مثلا يعيش الى الستين فمحال ان يتجاوزها او يموت دون بلوغها او كان علم وقدر فيه انه لا يعيش اليها فمحال ان يبلغها وكذا اذا علم واراد وقدر أن العبد يكون فقيرا مقترا عليه فى رزقه فمحال ان يكون غنيا كثير الرزق او علم وقدر أنه يكون غنيا كثير الرزق فمحال ان يكون فقيرا مقتر الرزق والا لزم انقلاب العلم جهلا وتخلف الارادة والقدرة عن الذى اراده وقدره وذلك محال فى حق العليم المريد القادر وايضا ان للغنى وللفقر اوقات موسومة وحدود معلومة فى الازل لا يمكن ان يتجاوزاها والا لزم المحذور

المذكور اقول هذا مع ما فيه من اخراج اللفظ عن حقيقته وصرفه عن ظاهره من غير داع يعول عليه يرد عليه ما يرد على الاول بعينه وذلك بان نقول كما ان زيادة العمر والرزق معلومة ومقدرة فى الازل فكذلك البركة والصحة والعافية والانفاس الطيبة وصفوة العيش وجميع ما ذكرتم معلوم ومقدر ايضا فى الازل فما تعلق العلم والتقدير بعدمه فمحال ان يوجد او بوجوده فمحال ان لا يوجد وايضا ان الصحة والعافية واترابها مما ذكرتم لها اوقات معلومة وحدود موسومة على حد ما تعلق بها العلم والتقدير الازليان لايمكن ان تجاوزها على كل تقدير فما لزمنا لزمكم وما هربتم عنه وقعتم فيه وما تجيبون به عن المعنى المجازى الذى اخترتم نجيب به عينه عن المعنى الحقيقى الذى اخترنا فاى داع الى اخراج اللفظ عن حقيقته مع بقاء الاعتراض بعينه بل الثواب والعقاب ودخول الجنة والنار ايضا قد تعلق بها العلم والتقدير الازليان فلا يمكن وقوع الكل الاعلى حد ما تعلق بها العلم والتقدير الازليان مع ان الله تعالى رتب حصول كل منها على الطاعة اوالمعصية ولوكان الترتيب هناك باطلا لكان هنا ايضا باطلا لهذه العلة بعينها فيلزم منه تعطيل الاوامر والنواهى اذ من علم الله تعالى وقدر أنه سيدخل الجنة فلا بد أن يدخلها على كل تقدير اوعلم وقدر أنه سيدخل النار فلا بد أن يدخلها على كل تقدير ايضا على مقتضى ماقلتم واللازم باطل بالضرورة فالملزوم مثله وهذا الالزام مما لم يمكن دفعه قطعا مع انه يترتب عليه الزامات تذكر فى آخر الباب الثالث ان شاء الله تعالى ﴿الباب الثالث﴾ فى الادلة العقلية الدالة على جواز تبديل الشقاوة والسعادة والنقصان فى العمر والرزق والزيادة وكيفية ترتبهما على فعل العبد الاختيارى وانه ليس له حجة على الله ولله الحجة البالغة وهذا البحث الشريف يتوقف على بيان معنى العلم والقدرة والارادة واقسامها وكيفية تعلقها بمتعلقاتها * فنقول اما

العلم فقد اختلف فى معناه هل هو ضرورى ومايذكر فى تعريفه فهو تنبيه وعلى تقدير أنه نظرى هل يحدّ اولا بل ما عرّفوه به فهو شرح الاسم لاالماهية وعلى تقدير أن لا يحدّ فلتعذره او لتعسره ذهب كل الى بعض ولنعرّفه بتعريف جامع مانع فليسموه ماشاؤا شرح الاسم او شرح الماهية او تنبيه * قال فى المواقف بعد ذكر عدة من التعاريف والتنظير فى كل منها والمختار أن العلم صفة توجب لمحلها تميزا لا يحتمل النقيض فاخرج ماعدا العلم من جميع الصفات بقوله توجب لمحلها تميزا لانها توجب لمحالها تميزا بها عن غيرها لا تميزا بها بين غيرها من متعلقاتها فان القدرة مثلا تميز صاحبها عمن ليس له قدرة وهكذا جميع الصفات ولا يميز بها صاحبها بين متعلقاتها بخلاف صفة العلم فان صاحبها بها يميز كما انه بها يميز واخرج ماعدا التصور والاعتقاد الجازم الثابت المطابق من الظن والوهم والشك والاعتقاد الغير الثابت كاعتقاد المقلد والثابت الغير المطابق كالجهل المركب بقوله لايحتمل النقيض اذ معناه لايحتمل ماتعلق به ذلك التميز النقيض وما تعلق به ذلك التميز هو المعلوم ودخول التصور الذى هو غير الشك والوهم على القول بانها تصورات فى التعريف لامتناع التناقض بين التصورات من حيث هى تصورات فضلا عن احتمال النقيض * واعلم ان هذا التعريف انما يتمشى على مذهب من يدخل احساس الحواس بمحسوساتها فى نوع العلم كالاشعرى ومن تابعه فانه جعل الابصار عالما بالمبصر وهكذا واما على رأى من جعله نوعا آخر للادراك مقابلا للعلم كالجمهور وهو الحق لموافقته للعرف واللغة فلا بد أن يزاد فى التعريف قيد فى المعانى كأن يقال توجب لمحلها تميزا فى المعانى لا يحتمل النقيض ليخرج عنه ادراك الحواس وقد غفل عن هذا من تكلم على التعريف ثم العلم هو اما اضافة بين العالم والمعلوم بها يكون العالم عالما والمعلوم

معلوما وهذا الاضافة لابد منها فى كون شئ عالما بآخر ولم يثبت غيرها فلهذا اقتصر عليها جمهور المتكلمين واما صفة ذات اضافة فهناك امران العلم والعالمية واليه ذهب جمع منهم وهذا التعريف يمشى على المذهبين لانا ان قلنا ان تلك الصفة توجب التميز بنفسها بلا واسطة تعلق بل هى نفس التعلق فهو المذهب الاول لكنها حينئذ تكون من الامور الاعتبارية الغير الموجودة فى الخارج كما هو رأى المتكلمين فى المقولات النسبية ماعدا الاين فيخرج العلم القديم عن التعريف وان قلنا انها توجب التميز بواسطة تعلقها فهو المذهب الثانى فيكون لها وجود قائم بالنفس فتكون من الامور الموجودة فى الخارج فلا يخرج العلم القديم عنه وهذا ايضا مما غفل عنه المتكلمون على التعريف واثبت القاضى وراء العلم والعالمية اضافة اما لاحدهما فيكون هناك ثلاثة امور اولكل منهما فيكون اربعة امور وهذا زيادة نغمة فى الطنبور هذا ومايرد على المذهبين من ان التعلق لا يتصور الا بين شيئين متغايرين وذا مفقود فى علم الشئ بنفسه اذ لا تغاير بين الشئ ونفسه وبالعلم بالمعدومات اذ لا وجود للمضاف اليه فى الخارج مدفوع بان العالم من حيث هو عالم يغاير نفسه من حيث هو معلوم ولو بالاعتبار وهو كاف فى صحة التعلق وان الاضافة انما تتوقف على الامتياز للمضاف اليه والامتياز له لا يتوقف على وجوده لا ذهنا ولا خارجا اذ قد يحصل بمجرد شبحه وشبهه كما قال به اهل الشبح وعند الحكماء العلم هو الوجود الذهنى اعنى الصورة الحاصلة عند العقل من حيث هى حاصلة عنده وتلك الصورة اما عين الحقيقة المدركة المتحققة فى الخارج ويسمى العلم الحضورى وعلم البارى عندهم من هذا القبيل لان المدرك حاضر بنفسه عند المدرك لا يحتاج الى انتزاع صورة منه مساوية له كالعلم بالنفس وصفاتها فان النفس مدركة لنفسها ولصفاتها بلا واسطة صورة

مغايرة لهويتها الخارجية واما منتزعة منها مساوية لها مرتسمة في العقل او آلته كالعلم بالماديات واما مخترعة ومبتدعة كالعلم بالمجردات والمعدومات وهو عندهم من مقولة الكيف ومعنى الصورة للمعدوم عندهم ان للمعدوم وجودا ظليا غير متأصل بحيث لو امكن تحققه في الخارج وتحقق ذلك المعدوم لكان اياه وتلك الصورة مطلقا من حيث قيامها بالذهن علم ومن حيث ذاتها معلوم قالوا لان العاقل قد يعقل ماهو نفي محض وعدم صرف والتعقل انما يتصور بين شيئين واذ ليس للمضاف اليه وجود في الخارج فكان في الذهن واذا لزم القول بالصورة في هذه الصورة لزم القول بها في جميع الصور لان الادراك معنى واحد لا يختلف الا بالاضافة الى المدرك والمدرك فما لزم في فرد منه لزم في الكل وهو المطلوب وقد مر الجواب عن هذا فلا تغفل واورد عليهم امور * منها ما للامام الرازي من انه لوكان العلم حصول الصورة المساوية التي ربما تسمى ماهية الشيء لزم من تصور الحرارة مثلا كون الذهن حارا وهو مع فساده يستلزم اجتماع النقيضين كالحرارة والبرودة عند تصورهما واجيب بالفرق بين الصورة والهوية فان الهوية جزئية محفوفة بالعوارض فاعلة للصفات تترتب عليها الآثار والصورة كلية مجردة لا تلحقها الاحكام ولا تترتب عليها الآثار ولهذا لا يلزم من ادراك الكرم والبخل والايمان والكفر اتصاف النفس بها مع ان من شانها الاتصاف بها فما ليس من شانها الاتصاف بها اولى وقد زاد المجيبون مقدمة اخرى لاحتياجهم اليها في بعض الاجوبة وهي انه فرق بين حصول المدرك في المدرك وبين حصوله عنده والاول يستلزم اتصافه به لا الثاني وحصول الصورة من قبيل الثاني لا الاول * واقول ان هذه المقدمة مع عدم الاحتياج اليها فيما زعموا على ما سأطلعك عليه يرد عليها ماقيل اذا لم يكن حصول الصورة في الذهن حصولا

اتصافيا واتصاف الذهن بالعلم ضرورى فكيف يكون العلم عبارة عنها واجاب عنه العلامة التفتازانى بان الصورة قد تؤخذ من حيث ان الحصول نفسها فتكون عرضا قائما بالنفس حاصلا لها حصولا متأصلا اتصافيا فتكون موجودا عينيا كسائر صفاتها وقد تؤخذ من حيث ان الحصول غيرها فتكون صورة وماهية للموجود العينى الذى ربما يكون من الجواهر فلا تتصف بها النفس * اقول يرد عليه انه ان اراد بكون الحصول نفسها انها تعتبر حصولا محضا فتكون عرضا فلا يكون العلم حينئذ من مقولة الكيف بل من مقولة الاضافة وهو اعتراف بمذهب المتكلمين وان اراد أن الحصول ليس امرا زائدا عليها بناء على امتناع قيام العرض بالعرض وقد اعترف بان حصولها فى الذهن حينئذ حصولا اتصافيا عاد المحذور فيكون كالرحى الدائرة وهى لم تبرح مكانها على انها حينئذ تكون جوهرا اذا كان ذو الصورة من الجواهر لاعرضا تأمل * ومنها ماللامام ايضا وهو أن الادراك اذا كان نفس الحصول كان المدرك هو الذى له الحصول وكان الجسم الحار مدركا للحرارة واجيب بان الحصول الاتصافى لا يستلزم الحصول الادراكى فيما من شانه الادراك ففيما ليس من شانه الادراك اولى قيل هذا الايراد مبنى على استلزام الحصول الاتصافى الحصول الادراكى والحق ان الكل بصورة منتزعة * قلت عدم استلزام الحصول الاتصافى الحصول الادراكى لايلزم منه ان يكون الكل بصورة منتزعة بل الغاية انه يتوقف الاستلزام على التفات النفس فان حصل الالتفات حصل الاستلزام والا لا وايضا كون الكل بصورة منتزعة ينفى العلم الحضورى وقد قالوا به * ومنها لزوم عدم التمايز بين الصورة وذى الصورة فى ادراك النفس لذاتها وصفاتها واجتماع المثلين واجيب بان التغاير الاعتبارى كاف وبان التماثل المانع من الاجتماع انما هو بين الهويتين لا بين الصورة والهوية وبان الحصول الاتصافى غير الحصول

الادراكى وقد عرفت عدم الاحتياج الى هذه المقدمة مع مايرد عليها * ومنها ان المدرك بالحس او العقل هو هذا الموجود العينى كهذا السواد وهذا الصوت فالقول بانه صورة منه لانفسه سفسطة واجيب بان المدرك هذا الشخص لكن ادراكه بحصول صورة منه عند المدرك بحصولها فيه او فى آلته * اقول قد عرفت ان الحاضر لايحتاج الى الانتزاع عندهم فهل هذا الا رجوع عن المذهب اللهم الا ان يقال انها تحصل بنفسها عند المدرك من غير انتزاع لها من المدرك فحينئذ يكون الفرق بين العلم الحضورى والعلم الحصولى مجرد الانتزاع فى الثانى وعدمه فى الاول اذ الكل بصورة لكنه يشكل فى ادراك النفس لذاتها ولصفاتها اذلا يحتاج فيه الى الصورة كما انه لايحتاج الى الانتزاع * ومنها ان الادراك لوكان الحصول لكان المدرك للمحسوسات هو الخيال او الرطوبة الجليدية اذ حصول الصورة فيها لا فى النفس فلو قلنا ان المدرك هو النفس لم يكن الادراك هو الحصول بل معنى آخر واجيب بان ادراك المحسوسات هو الحصول عند المدرك للحصول فى الآلة لا الحصول فى الآلة وفيه مامر فتذكر ٢ * ومنها انه لوكان مجرد الحضور عند الحس كافيا فى الادراك لكان الحاضر الذى لاتلتفت اليه النفس مدركا وليس كذلك وجوابه ٣ مع مافيه ٤ مر فلا تغفل * ومنها انكم جعلتم الصورة العلمية التى هى عرض قائم بالنفس كاية مطابقة للموجود العينى الذى ربما يكون من الجواهر بل نفس ماهيته مع ان كون العرض القائم بالنفس الجزئية جزئيا وامتناع مطابقة العرض للجوهر ونفس ماهيته ضرورى وايضا تجعلون العلم تارة نفس الصورة وتارة حصولها مع ظهور الفرق واجيب بعدم منافاة كونها عرضا من حيث قيامها بموضوع هو النفس لكونها جوهرا من حيث وجودها فى الخارج لا فى موضوع وبعدم منافاة جزئيتها من حيث قيامها بالنفس الجزئية لكليتها من حيث مطابقتها للافراد وبان نسبة الحصول الى

٢ لان من المحسوسات ماهو حاضر فلا يحتاج الى الصورة اللهم الا ان يراد المحسوسات الغائبة فقط لا مايعم الحاضرة منه

٣ من ان الحصول الاتصافى لا يستلزم الحصول الادراكى فالحصول الحضورى سيما مع عدم اتصاف النفس به اولى بعدم الاستلزام منه

٤ من القول بالبناء على الاستلزام وان الكل بصورة منتزعة منه

الصورة فى العقل نسبة الوجود الى الماهية فى الخارج فلا زيادة الا بالاعتبار ومن ههنا قد يجعل العلم نفس الصورة * اقول ان اراد بقيامها بالنفس حال اخذها من حيث الحصول فقيامها بها وجزئيتها مسلم لكنها تكون حينئذ اضافة لا كيفا اوحال اخذها من حيث ذاتها فقيامها بها وجزئيتها ممنوع كيف وانها حينئذ ربما تكون جوهرا لكونها نفس ماهية الموجود الذى ربما يكون من الجواهر كما اعترف به المجيب نفسه على انها فى المعدوم لاتكون من الامور الموجودة على التقديرين فضلا عن كونها كيفا اوجوهرا ثم ان قياس نسبة الحصول الى الصورة على نسبة الوجود الى الماهية قياس مع الفارق لان الماهية لاتكون تارة جوهرا وتارة عرضا كما زعموه فى الصورة ثم انهم مع بقاء هذه الاشكالات عليهم يرد عليهم اشكال لامحيص لهم عنه الا بالقول بالشبح وهو ما اعترف به رئيسهم ابن سينا حيث قال ان المستحيل لايحصل له صورة فى العقل ولايمكن ان يتصور شئ هو اجتماع النقيضين بل تصور المستحيل انما يكون على سبيل التشبيه بان يعقل بين السواد والحلاوة امر هو الاجتماع ثم يقال مثل هذا الامر لا يمكن بين السواد والبياض اوعلى سبيل النفى بان يحكم العقل بانه لايمكن ان يوجد مفهوم هو اجتماع النقيضين كالسواد والبياض انتهى فاذا لزم القول بالشبح والمثال فى هذه الصورة لزم فى جميع الصور لما قالوه بعينه من ان الادراك معنى واحد لايختلف الا بالاضافة الى المدرك والمدرك فما ثبت لفرد منه ثبت للفرد الآخر وماهو جوابهم فهو جوابنا * واعلم ان الكل متفق فى الصورة الا ان اهل الشبح لما لم يقولوا باتحاد الصورة بذى الصورة بل هى عندهم مثال له ومع هذا فالعلم عندهم ليس ٢ ذلك المثال بل اضافة اوصفة ذات اضافة اليه اراحوا ارواحهم واشباحهم من شوائب الشبهات واهل الصورة لما قالوا بالاتحاد ومع هذا فالصورة عندهم نفس العلم

٢ فيه رد على شارح التهذيب حيث توهم ان الخلاف بينهم يشبه اللفظى لان مبناه عنده مجرد القول باتحاد الصورة بذى الصورة عند الحكماء وعدم اتحادها معه عند المتكلمين ومنشأ توهمه الغفلة عن كون الصورة نفس العلم عند الحكماء ومضافا اليها العلم عند المتكلمين

اثاروا على انفسهم عواصف الاشكال فتراهم كالصورة المعلقة فى الهواء تتقلب يمينا وشمالا فتارة يقولون بالعينية * وتارة بالغيرية * وتارة هى كلية * وتارة جزئية * وتارة بالانتزاع * وتارة بالاختراع * وتارة هى حصول * وتارة ذوالحصول * وتارة قائمة بنفسها * وتارة قائمة بنفس العالم بها * فقد حملوا انفسهم كلفا * لايجدون عنها مصرفا * وهذا هوالذى الجأهم الى ماشتهر عنهم من القول بان الله تعالى لايعلم الجزئيات لما رأوا ان لكل ذى صورة صورة ولو علم الله تعالى كلا من تلك الصور بخصوصها مع احوالها المتغيرة لزم تكثر علمه وتغيره ويلزم منه تغير ذاته وتكثرها لان علمه من لوازم ذاته بل هو عين ذاته عندهم فحكموا بانه تعالى لا يعلم الجزئيات بخصوصياتها اعنى على الوجه الجزئى بل على الوجه الكلى فهربوا من شنيع على زعمهم لكن وقعوا فى اشنع منه فى الواقع وتأول ذلك من ادخل رقبته فى ربقة اقاويلهم * وانقادت نفسه بازمة اباطيلهم * بما لم يخرجه عن خطة دورانه * ويدور وهو فى مكانه * من ان علمه تعالى واحد بسيط اجمالى بحيث تحضر عنده جميع تلك الصور دفعة واحدة بصورة وحدانية هى مبدأ لتفاصيل الاجزاء فى الخارج كمن علم مسئلة فيسئل عنها فانه يحضر الجواب عنها فى ذهنه دفعة من غير تفصيل قال وهو علم بالفعل لا بالقوة لحضور صورة الكل عند المدرك وعدم التميز بالفعل لايقتضى عدم وجود الاجزاء * اقول ليت شعرى هل هذا الامجرد تغيير فى التعبير وهل عدم التميز بالفعل الاعدم علم بالفعل ولو تفصيلا وهو نقص يجب تنزيه الله عنه وهل مثل هذا العلم الاكمثل من يرى نعما كثيرة دفعة فلاشك ان الكل قد حصل فى الرطوبة الجليدية دفعة بصورة واحدة لكن لو سئل عنها هل يقدر على ان يجيب عن كل منها تفصيلا من غير ملاحظة ثانية بخلاف مالو أحدق النظر الى كل منها فى المرة الاولى فلاشك فى

انه يقدر أن يجيب عنها تفصيلا من غير ملاحظة ثانية وتقاس البصيرة فى مدركاتها على البصر فى مدركاته وهذا نقص فى حق العبد فكيف فى حق الرب بل العبد يقدر على الخروج من هذا النقص بان يلاحظ المسئلة تفصيلا والله لايقدر على ذلك فى زعمهم والا رجع المحذور المذكور وايضا العلم الاجمالى ان كان بصورة واحدة فكيف يطابق صورا متعددة او بصور متعددة فتفصيلى لا اجمالى والعجب كل العجب حيث قالوا ان علمه تعالى عين ذاته وانه حضورى ثم قالوا هو عبارة عن صورة واحدة اجمالية فان كان علمه تعالى صورة منتزعة يلزم قدم الاشخاص حتى تنتزع منها الصورة او يلزم حدوث علمه فيلزم حدوث ذاته لانه عينها وايضا هو خلاف ما عرفوا به العلم الحضورى اذ هو حضور المدرك بحقيقته وذاته عند المدرك وان كان علمه حضور المدرك اى المدرك الحاضر بحقيقته فكذلك يلزم اما قدم الاشخاص او حدوث العلم الذى هو عين الذات وان كان علمه صورة مخترعة مع انه خلاف العلم الحضورى يلزم ان تكون ذاته التى هى عين علمه مخترعة ثم يلزم على كل التقادير ان يكون تعالى عين المخلوقات ان قلنا ان الصورة العلمية هى عين الحقائق الخارجية بل يلزم فى العلم بالممتنع والمعدوم امتناع ذاته وعدمها او يلزم على بعضها ان يكون عين المخلوقات وعلى البعض الاخر كيفا من الكيفيات ان قلنا انها غيرها مساوية لها كما اضطرب به كلامهم * وتزلزلت اقدامهم * وتحيرت افهامهم * واختلجت اوهامهم * والكل لايقول به عاقل * فضلا عن فاضل * فالحق ما عليه اهل الحق من ان العلم اضافة او صفة ذات اضافة وان العلم الاجمالى قسم من العلم الحادث ليس من القديم فى شئ وان علمه تعالى بل سائر صفاته ازلية لها تعلقات ازلية بالنسبة الى الازليات والمتجددات باعتبار أنها ستجدد وفيما لايزال بالنسبة الى المتجددات

(باعتبار)

باعتبار وجودها الآن اوقبل والتغير والتكثر انما هو فى الاضافات والتعلقات لافى الصفات ومايقال من ان التعلق الازلى يستدعى قدم المعلومات ولو بحسب العلم والالكان علم بلا معلوم مدفوع بمامر من ان تعلق العلم بالمعلوم لايتوقف على وجوده لاذهنا ولاخارجا بل على تميزه الحاصل بمجرد شبحه فتأمل فى هذا المقام * فانه من فيض العليم العلام * وكم زلت فيه اقدام الافهام * والعلم قسمان قديم وحادث فالقديم مالم يسبق بالعدم كعلم الله تعالى عند الكل وكعلم المجردات ايضا مثل العقول العشرة والنفوس الفلكية عند الحكماء والحادث خلافه كعلم باقى المحدثات عند الكل والعلم الحادث ثلاثة اقسام لانه اما ان يكون بالقوة المحضة وهو الاستعداد للعلم بالفعل كاستعداد النفس للعلم بالضروريات بواسطة احساس المحسوسات وكاستعدادها للعلم بالنظريات بواسطة الضروريات واما ان يكون بالفعل وحينئذ اما ان يكون اجمالا بان يلاحظ امر بسيط هو مبدأ للتفاصيل كما عرفت واما تفصيلا بان يلاحظ التفاصيل واحدا بعد واحد وفى تعدده بتعدد المعلوم خلاف بناه الامام الرازى على الخلاف فى كونه اضافة فيتعدد بتعدده اوصفة ذات اضافة فلا يتعدد بتعدده ومحله القلب كادلت الادلة السمعية عليه واما العلم القديم فليس بجوهر ولا عرض لانهما محدثان بل هو صفة حقيقية ازلية قائمة بذات الواجب وانه تفصيلى لا اجمالى وانه لايتعدد بتعدد المعلوم ولايتكثر بتكثره ولا يتغير بتغيره بل التغير والتكثر والتعدد انما هو فى الاضافات والتعلقات وانه لايتناهى ويتعلق بمعلومات لاتتناهى اى لا تدخل تحت حد لا يمكن ان تجاوزه كالاعداد والاشكال وبكل موجود ومعدوم ممكن اوممتنع كلى اوجزئى لا يعزب عن علمه شئ * ﴿ وهو بكل شئ عليم ﴾ وزعم بعضهم انه تعالى لا يعلم كل شئ اذلو علمه لعلم علمه به وعلمه بعلمه به وهلم جرا فيلزم

التسلسل والجواب ان التسلسل فى الاضافات غير محال لانه ينقطع بانقطاع الاعتبار مع ان دليله معارض نقلا بمامر ٤ وعقلا بانه لو علم البعض دون البعض لزم الترجيح بلامرجح لان المقتضى للعالمية هو الذات بنفسها او بواسطة العلم وللمعلومية امكان العلم بالمعلومات ونسبة الذات الى الكل متساوية فلو اختص علمه بالبعض دون البعض لكان لمخصص وهو محال لامتناع احتياج الواجب الى المخصص فى كمالاته الى شئ فلابد أن يعلم كل شئ وقد ادعى الجلال الدوانى وتبعه الكلنبوى محالية التسلسل فى الاضافات اللازم من علم الله تعالى بعلمه وبعلمه بعلمه وهكذا زاعمين ان هذا هو الذى الجأ الحكماء الى القول بالعلم الاجمالى وايداه بانه كما يلزم التسلسل فى الاضافات وهى ليست بامور اعتبارية قطعا على زعمهما يلزم اجتماع مفهومات غير متناهية بالفعل فى آن واحد اذ علمه تعالى بعلمه وبعلمه بعلمه وهكذا ليس بطريق التعاقب والالزم عدم استكماله بالفعل بل دفعة واحدة فلابد من القول بالعلم الاجمالى هربا من لزوم عدم علمه بالكل *اقول وانت تعلم ما فى القول بالعلم الاجمالى من النقص الذى يجب تنزيه الله عنه مع ان اجتماع المفهومات الغير المتناهية بل الصور الحقيقية فى آن واحد وارد عليهم فان قالوا يعلمها دفعة واحدة بامر بسيط فنقول هل هى عندكم الانفس العلم فكما يلزمكم اجتماع المفهومات يلزمكم التكثر فى العلم الذى هربتم عنه ولو بالقوة وهو محال على الله لان علمه واحد بالقوة والفعل بل ليس له تعالى صفة كمال بالقوة فكيف يكون له فيها صفة نقص ولاى شئ يكون اجتماع المفهومات الاعتبارية الذى يلزمنا محالا ولايكون اجتماع المفهومات الحقيقية الذى يلزمكم محالا هل هذا الا ترجيح المرجوح بل قلب المستحيل ممكنا بل واقعا نسأل الله الهداية واذا عرفت ان العلم عند الحكماء هو

٤ من قوله تعالى والله بكل شئ عليم ..

الصورة الحاضرة التى هى باعتبار حضورها تسمى علما وباعتبارها فى نفسها معلوما بمعنى انها لو وجدت فى الخارج ووجد ذلك المعلوم كانت عينه وعند المتكلمين اضافة الى الصورة التى هى مثال وشبح للمعلوم اوصفة ذات اضافة اليها فاعلم ان العلم عند الكل تابع للمعلوم سواء كان تصوريا او تصديقيا وان كان علم الله تعالى لايوصف بانه تصور اوتصديق لابمعنى ان العلم متأخر عن المعلوم اذ هذا محال فى حقه تعالى بل بمعنى انه تعالى يعلم الشئ كما يقع هو فى حد ذاته وان العلم والمعلوم يتطابقان والاصل فى هذه المطابقة هو المعلوم ألا يرى ان صورة الفرس على الجدار مثلا انما كانت على هذه الهيئة المخصوصة لان الفرس فى حد نفسه هكذا ولا يتصور أن ينعكس الحال بينهما فان المحال مثلا بنفسه اعطاك العلم به انه محال فلا اثر لعلمك فيه بل لعلمك منه اثر فلا مدخل للعلم فى وجوب الفعل وامتناعه وسلب القدرة والاختيار والا لزم ان لايكون الله تعالى فاعلا مختارا لكونه عالما بافعاله وجودا وعدما اذ ما علم الله عدمه فممتنع الصدور او وجوده فممتنع العدم وواجب الصدور ولوكان للعلم دخل فى هذا الوجوب والامتناع لبطل الاختيار فما قاله الكلنبوى من ان العلم تابع للمعلوم التصديقى لا التصورى خلاف الظاهر لان العلم اذا كان تابعا للوقوع الذى هو النسبة والنسبة لاتتصور الا بعد تصور المنتسبين فبالضرورة ان يكون تابعا لاطرافها ولان الادراك معنى واحد فما جاز لفرد منه جاز للفرد الآخر وما امتنع على فرد منه امتنع على الفرد الآخر والعجب من هذا المدقق كيف ايد كون العلم هو الصورة الذهنية المطابقة لذى الصورة ونفى تميز المعدومات فى ذواتها من غير وجودها فى الخارج وفى الذهن ثم ادعى عدم تبعية العلم للمعلوم التصورى واعجب من هذا انه عد هذا البحث من نفائس الابحاث * واعلم ان هذا المقام مقام عظيم كم زلت فيه

اقدام * وحارت فيه افهام * ولذا اطنبا فيه الكلام * وان لم نشبعه كل الاشباع * لضيق صدر هذه الرسالة عن كثرة الشقاق والنزاع * لكن بحمده تعالى كشفنا عن وجوه بعض المخدرات القناع * فعليك بالنظر السديد * واياك والتقليد * واما الارادة فقد اختلف فى تفسيرها على اقوال مع ان كون معناها واضح عند العقل مما يشهد به الوجدان فقال كثير من المعتزلة هى اعتقاد النفع لان نسبة القدرة الى طرفى الفعل على السواء فاذا حصل اعتقاد النفع فى احد طرفيه ترجح على الاخر عند القادر واثرت فيه قدرته وقال بعضهم هى ميل يعقب اعتقاد النفع لان القادر كثيرا ما يعتقد النفع فى شئ ولا يريده مالم يحدث هذا الميل وردّ المذهبان بان الارادة قد توجد بدون اعتقاد النفع او ميل يعقبه فلا يكون شئ منهما لازما للارادة فضلا عن كونه نفسها فان الهارب اذا عرض له طريقان متساويين فى النجاة من جميع الوجوه يختار احدهما بمجرد ارادته من غير توقف فى طلب المرجح واعتقاد نفع او ميل وقالت الفلاسفة هى العلم بما هو عند العالم كمال وخير واعترض عليهم بان الارادة لو كانت نوعا من العلم لاختصت بذى العلم واللازم باطل لان الحركة بالارادة مأخوذة فى تعريف مطلق الحيوان وانما جعلوها نوعا من العلم لانهم لما ذهبوا الى انه تعالى موجب بالذات لا فاعل بالاختيار وعلموا ان فى نفى الارادة عنه شناعة والحاقا لافعاله تعالى بافعال الجمادات حاولوا اثبات كونه تعالى مريدا على وجه لا ينافى كونه تعالى موجبا ولذا فسروها ايضا بكون الفاعل عالما بما يفعله اذا كان ذلك العلم سببا لصدور ذلك الفعل حال كون العالم غير مغلوب فى فعله ولا مكره عليه والله تعالى عالم بذلك فيكون مريدا وانما قالوا اذا كان ذلك العلم سببا لصدور ذلك الفعل لان علمه تعالى عندهم سبب لافاضة المعلوم الى عالم الوجود ولاجل انهم نفوا

الارادة المشتركة بين الحيوان عنه تعالى لانها عندهم حالة ميلانية الى الفعل اوالترك وهى منفية عن الواجب لايرد الاعتراض المذكور عليهم اذ التعريف لنوع من الارادة وهى الارادة القديمة لالمطلق الارادة لكن يرد على ما فسروا به الارادة المشتركة بين الحيوان ما يرد على المعتزلة فانظر وبعضهم تطفل على الحكماء فى نفى الارادة عنه تعالى فقال معنى ارادة الله تعالى فعله انه ليس بمكره ولاساه ولا مغلوب ومعنى ارادته فعل غيره انه امر به وهذا اشنع مما ارتكبه الفلاسفة لانهم وان فسروها بنوع من العلم لكنهم لم يجوزوا تخلفها عما اراد الله وهذا البعض جوز تخلفها عنه حيث فسرها بالامر كيف وقد امر تعالى كل مكلف بالايمان ﴿ ولو شاء ربك لآمن فى الارض كلهم جميعا ﴾ وقال الاشعرى ارادة الشئ نفس كراهة ضده اذ لو كانت مثلها او ضدها لما جاز اجتماعهما ولو كانت مخالفة لها لجاز اجتماع كل منهما مع ضد الاخرى كالحلاوة المخالفة للسواد تجتمع مع ضده الذى هو البياض لان ضد كراهة الضد نفس ارادة الضد واذا انتفى التماثل والتضاد والتخالف ثبت الاتحاد وهو المطلوب واجيب بانا لا نسلم لزوم جواز اجتماع كل من المتخالفين مع ضد الآخر لجواز أن يكونا متلازمين ويمتنع اجتماع الملزوم مع ضد اللازم وايضا ربما يراد شئ ولا يخطر بالبال ضده فضلا عن ان يكون مكرها وبهذا بطل حكم القاضى باستلزام ارادة الشئ كراهة ضده وقال الماتريدى وسائر اصحابنا وهو الاصح انها صفة بها يرجح الفاعل احد مقدوريه من الفعل والترك واحتجوا بان الضدين نسبتهما الى القدرة سواء اذ كما يجوز أن يقع بها هذا يجوز أن يقع بها هذا وكل واحد فرضنا وقوعه بها فنسبته الى الاوقات المعينة سواء فكما يمكن ان يقع فى وقته الذى وقع فيه يمكن ان يقع قبله اوبعده فالارادة ترجح احد الضدين وتخصص وقوعه فى احد الوقتين واعترض

عليه بان هذا التفسير لايكشف عن حقيقتها اذلا نسلم وجود صفة كذلك لانها اذا تساوت نسبتها الى الطرفين احتيج فى التعلق باحديهما الى مخصص وينقل الكلام اليه فيدور اويتسلسل اولا فيلزم الايجاب والجواب ان نسبتها الى الطرفين سواء * لكن لكونها تابعة للادراك يرجح بها الفاعل اياشاء * واذا تقرر هذا فاعلم ان الارادة غير الشهوة التى هى ميلان النفس نحو الامور المستلذة لانها تفارقها فى الوجود فان المريض قد يريد مالا يشتهيه * كشرب دواء كريه * وقد يشتهى مالا يريده * كالذى يبطئ مرضه بل يزيده * ولشدة تعلق الارادة بالقوة الادراكية كشدة تعلق الشهوة بالطبيعة الجبلية كما ٦ ان ضدها وهو الكراهة مغايرة للنفرة التى هى ضد الشهوة وانه لافرق بين المشيئة والارادة الا عند الكرامية حيث جعلوا المشيئة صفة واحدة ازلية تتناول مايشاءالله بها والارادة حادثة متعددة بتعدد المتعلقات وهذا ٧ باطل لانه يوجب كونه تعالى محلا للحوادث لوقامت به وقيامها بنفسها على ماهو رأى الجبائية ضرورى البطلان فان مايقوم بنفسه كيف يكون صفة ولان صدور الحادث من الواجب تعالى لايكون الا بالاختيار فيتوقف على الارادة وهكذا فيدور او يتسلسل والكل محال * والارادة قسمان كالعلم قديمة وهى مالم تسبق بالعدم كارادة الله تعالى وحادثة وهى خلافها كارادة المحدثات * واعلم ان الارادة القديمة لاتتناهى ولاتتناهى متعلقاتها بمعنى انها لاتدخل تحت حد لاتجاوزه كافراد نعيم الجنان وما فيها من الاشخاص الباقية انواعها وانها تتعلق بالمتعلق على حد ماتعلق العلم والقدرة به لان القدرة كما سنقرره نسبتها الى الكل سواء فتتعلق فى الازل بالفعل او الترك فيما لايزال تعلقا معنويا لايترجح به احدهما على الآخر ولا يترتب عليه وجود اوعدم بل ولا تخصيص فى احد الاوقات بل تعلقا مصححا لايجاده فيما لايزال فى احد الاوقات فاذا تعلقت

٦ تشبيه بمغايرة الارادة للشهوة فهو مربوط بقوله ان الارادة غير الشهوة .منه

٧ اى حدوث الارادة وتعددها بتعدد المتعلقات منه

الارادة باحدهما ترجح على الآخر وترتب على ذلك التعلق وجود او عدم فى الوقت المعين فاذا جاء وقته المعين تعلقت القدرة والارادة به تعلقا موجدا له فى الحال بالفعل فوجد وعلى هذا فكما ان للقدرة تعلقين تعلق فى الازل مصحح وآخر فيما لا يزال موجد كذلك للارادة تعلقان تعلق فى الازل مرجح ومخصص وآخر فيما لا يزال موجد مع القدرة وهذا مفهوم من كلام بعض المشايخ والمفهوم من كلام البعض الآخر انه يكفى التعلق الازلى للارادة فيما اريد ولا يحتاج الى تعلقها به مرة ثانية فيما لا يزال لان التعلق الاول مستمر غير منقطع فلا تحتاج القدرة فى الايجاد الى تعلق الارادة مرة ثانية بل تكتفى باستمرار التعلق الاول فالارادة ترجح وتخصص والقدرة تصحح ثم توجد وقيل القدرة تصحح فقط والتكوين يوجد بناء على ان القدرة لا تتعلق باحد طرفى الفعل الا فى الازل تعلقا مصححا لايجاده فيما لا يزال وعند مجىء وقته فالذى يوجده بالفعل انما هو التكوين وان ٩ ارادته تعالى تعم الكائنات وبالعكس بمعنى ان كل ما تعلقت به فهو كائن وكل ما هو كائن فهو الذى اراده الله تعالى وان لم يكن مرضيا ولا مأمورا به بل ربما يكون منهيا عنه خلافا للمعتزلة فى الاصلين ذهابا الى انه تعالى يريد من الكفار والعصاة الايمان والطاعة ولا يقع ما اراده ويقع منهم الكفر والمعصية ولا يريدهما وهو مبنى على ان الارادة عين الامر كما تقدم وهو ضرورى البطلان ﴿ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ﴾ * واما القدرة فقيل هى صفة تؤثر على وفق الارادة يعنى سواء كانت آثارها مختلفة كالقوى الحيوانية او لم تكن مختلفة كالقوى الفلكية فخرج بالقيد الاول ما لا يؤثر كالعلم وان توقف تأثير القدرة عليه وبالثانى ما يؤثر لا على وفق الارادة كالقوى النباتية والعنصرية وقيل هى صفة مبدأ لافعال مختلفة اى سواء كانت على وفق الارادة كالقوى الحيوانية او لم تكن على وفقها كالقوى النباتية فخرج

٩ عطف على مدخول اعلم منه

ماكانت آثاره على نمط واحد كالقوى الفلكية فبين التعريفين عموم وخصوص من وجه لصدقهما على القوى الحيوانية وصدق الاول دون الثانى على القوى الفلكية وصدق الثانى دون الاول على القوى النباتية فان قيل القدرة الحادثة لاتدخل فى شئ من التعريفين لانها غير موثرة عندنا كما سيجئ فلا بد من القول بكون فعل العبد بقدرته على ماهو مذهب المعتزلة او بنفى قدرة العبد اصلا كما هو مذهب الجبرية قلنا ليس المقصود من تأثير مطلق القدرة تأثيرها بالفعل بل اعم مما هو بالقوة او بالفعل اى صفة من شانها التأثير والقدرة الحادثة كذلك وان لم تؤثر بالفعل لوقوع متعلقها بقدرة الله تعالى فلا يلزم الذهاب الى احد المذهبين والقول بقدم قدرة الله تعالى مع حدوث المقدورات على ماهو رأينا وثبوت القدرة الحادثة قبل الفعل على ماهو رأى المعتزلة يؤيد ماذكرنا اذلوكانت قدرة الله تعالى موثرة فى المقدور بالفعل فى الازل تأثير ايجاد له فيه لزم قدم المقدورات فى الوجود وكذا لوكانت القدرة الحادثة حين وجودها موثرة بالفعل فى مقدورها فى ذلك الحين لم تكن متقدمة على الفعل على هو المفروض وكلا اللازمين باطل فكذا الملزومين والقوة اعم من القدرة على المعنيين اذ هى صفة مبدأ للتغير فى آخر من حيث هو آخر سواء كانت آثارها على وفق الارادة اولا وسواء كانت الآثار مختلفة اولا فتصدق على القوى العنصرية دونهما وانما قيد تعريف القوة بالحيثية للاشعار بانه يكفى التغاير الاعتبارى بين المؤثر والمؤثر فان النفس المعالجة لنفسها فى تهذيب اخلاقها مؤثرة من حيث هى معالجة موثرة من حيث هى معالجة * واعلم ان لفظ القوة كما قال بعض الافاضل معناه المتعارف عند الجمهور هو أن يتمكن الحى من الافعال الشاقة ثم نقل منه الى سببه المسمى قدرة وهى صفة بها يتمكن الحى من الفعل والترك بالارادة والى لازمه ايضا وهى كونه بحيث لاينفعل سريعا ثم

عمم فاستعمل فى كون الشئ مطلقا حيوانا اوغيره بهذه الحيثية ثم نقل الى لازم القدرة بالنسبة الى المقدور وهو امكان حصوله مع امكان بقاء عدمه ونقل ايضا الى ماهو كالجنس للقدرة بالمعنيين وهو الصفة المؤثرة سواء كان تأثيرها بالايجاب اوبالاختيار وسواء كانت آثارها مختلفة اولا والقوة بهذا المعنى هى مبدأ للتغير فى آخر من حيث هو آخر ولهذا قلنا ان القوة اعم من القدرة بالمعنيين هذا ولهم فى اثبات معنى القدرة طرق * احدها ماللهمدانى من المعتزلة من انه العلم بتأتى الفعل من بعض الموجودين وتعذره على الغير كتأتى الكتابة من زيد دون عمرو بل ربما يتأتى الفعل من بعض الاشخاص ويتعذر عليه غيره كتأتى القراءة من عمرو دون الكتابة فهذا العلم دال على ان فى زيد صفة بها تمكن على الكتابة دون عمرو وفى عمرو صفة بها تمكن على القراءة دون الكتابة وردّ بان الممنوع من الفعل قادر عليه عندكم مع العلم بتعذره عليه فطريقكم مسدود لا يقال الممنوع يتأتى منه الفعل على تقدير ارتفاع المانع لانا نقول ويتأتى ايضا من العاجز على تقدير ارتفاع العجز عنه فلم كان ذاك قادرا عندكم دون هذا * قلت لكن الحق ماقاله العلامة التفتازانى من ان بينهما فرقا لان الفعل يتاتى من الممنوع وهو بحاله فى ذاته وصفاته والتغير فى امر خارج بخلاف العاجز فانه يتغير من صفة الى اخرى * الثانى مالجبائى من انه العلم بصحة الشخص وانتفاء الآفات عنه وردّ بان النائم كذلك مع انه ليس بقادر اللهم الا ان يقال ان النوم آفة * الثالث مالجمهور المتكلمين من انه الوجدان فان العاقل يجد من نفسه ان له صفة بها يتمكن من حركة البطش وتركها دون الرعشة ليست من قبيل القصد والاختيار ولامن قبيل الاجرام خلافا لمانسب الى ضرار وهشام من ان القدرة على البطش نفس اليد وعلى المشى نفس الرجل وهكذا وليست هى سلامة الاسباب والآلات خلافا

لماقاله بشر بن المعتمر فى الحادثة واختاره الامام لان هذه صفة عدمية لاتؤثر والقدرة مما يؤثر * قلت ولوكانت هى سلامة الاسباب والآلات لزم ان يتصف كل من فيه سلامة الاسباب والآلات بكل ما اتصف به كل واحد من سالمى الاسباب والآلات واللازم باطل ضرورة فتكون غيرها وهو المطلوب *والقدرة ايضا قسمان قديمة وحادثة فالقديمة مالم تسبق بالعدم كقدرة الله تعالى عند الكل وكقدرة المجردات ايضا عند الفلاسفة وهى موجودة قبل الفعل وبعده مستمرة ازلا وابدا ليست من قبيل الاعراض واعلم ان قدرة الله تعالى غير متناهية بمعنى ان جواز تعلقها لا ينقطع وشاملة للكل بمعنى ان تعلقها لايقتصر على البعض لان المقتضى للقادرية هو الذات والمصحح للمقدورية هو الامكان ولاتمايز قبل الوجود يخصص البعض دون البعض وللنصوص الدالة على شمول قدرته تعالى للكل ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ وقد يفسر شمول قدرته للكل بان ماعدا الذات والصفات من الموجودات واقع بقدرته وارادته ابتدأ بحيث لامؤثر سواه كماهو مذهب اهل الحق والنصوص ٢ القاطعة الدالة اجمالا على انه خالق كل شئ وتفصيلا على انه خالق السموات والارض وجاعل الظلمات والنور وخالق الموت والحياة الى غير ذلك من الجواهر والاعراض شاهدة ٣ بذلك واما الاستدلال عليه بدليلى التوارد والتمانع ففيه مافيه ولذا تركناهما وخالف فى المعنى الاول للشمول طوائف فمنهم من قال انه تعالى لا يقدر على خلق الشرور حتى الاجسام المؤذية وانما القادر على ذلك فاعل آخر يسمى اهرمن وهم المجوس ومنهم من قال انه لايقدر على خلق الجهل والكذب والظلم وسائر القبائح وهم النظام واتباعه ومنهم من قال انه لايقدر على مثل مقدور العبد وهم الكعبى واتباعه ومنهم من قال انه لايقدر على نفس مقدور العبد وهم الجبائى واتباعه ومنهم من قال انه لايقدر على ماعلم انه لايقع لامتناعه ولاعلى ماعلم انه يقع

٢ مبتدأ سعد

٣ خبر سعد

لوجوبه وهم عباد واتباعه ومالنا بردهم مع قيام النص القاطع لعرق ماادعوه وخالف فى المعنى الثانى للشمول ايضا طوائف فمنهم من قال ان الصادر عنه تعالى العقل الاول بلا واسطة فقط وهو مصدر لعقل ونفس وفلك وهكذا يترتب المعلولات مستندا بعضها الى بعض فالفاعل للافلاك عقول ولحركاتها نفوس وللحوادث بعض هذه المبادى اوالصور اوالقوى بتوسط الحركات ولافعال المعدنيات صورها النوعية ولافعال النباتات والحيوانات نفوسها وهم الفلاسفة ومنهم من قال ان كل مايقع فى عالم الكون والفساد من الحوادث والتغيرات مستندة الى الافلاك والكواكب بما لها من الاوضاع والحركات والاحوال والاتصالات وهم الصابئون والمنجمون ومنهم من قال ان حوادث هذا العالم مستندة الى امتزاج العناصر والقوى والكيفيات الحاصلة بذلك وهم الطبيعيون ومنهم من اسند الشرور والقبائح الى الشيطان وهو قريب من مذهب المجوس واسند الافعال الاختيارية للانسان وغيره من الحيوانات اليهم وهم المعتزلة وهذه هى مسئلة خلق الاعمال وتأتى قريبا ان شاء الله تعالى وما تقدم من النصوص يرد ذلك كله مع ان ادلة الكل فى نفسها مضمحلة فراجعها ان شئت فى المطولات * والقدرة الحادثة ماسبقت بالعدم وهى لاتوجد الا مع الفعل عندنا لاقبله خلافا للمعتزلة وهذا مبنى على امتناع بقاء الاعراض كما هو عندالاشعرى لانها لو وجدت قبله لانعدمت فيلزم وجود المقدور بدون القدرة والمعلول بدون العلة وهو محال وقد عرفت ان القدرة القديمة ليست من قبيل الاعراض فلا يرد النقض بها وردّ المعتزلة بانه بعد تسليم امتناع بقاء الاعراض يجوز أن تستمرّ بتجدد الامثال الى وقت الفعل كالعلم وغيره مما هو قبل الفعل فلا يلزم وجود المقدور بدون القدرة واجيب بان وجود المقدور حينئذ ان كان بالقدرة الزائلة يعود المحذور المذكور او بالحاصلة وقت

الفعل فقد اعترفتم بانها مع الفعل ثم قالت المعتزلة لو لم تكن القدرة
الا مع الفعل ولم تتعلق به الا حال وجوده ومعنى تعلقها به ايجاده
٣يلزم ايجاد الموجود وتحصيل الحاصل وايضا يلزم امتناع التكليف ٣جواب لو سلم
لان التكليف بالفعل انما يكون قبل حصوله ضرورة انه لا معنى لطلب
حصول الحاصل واذا كانت القدرة مع الفعل لاقبله كان الفعل قبل
الوقوع غير مقدور فاذا كلف به قبل وقوعه لزم التكليف بما لا يطاق
ولزم منه ان تكون جميع التكاليف تكليفا بما لا يطاق وردّ الاول بان
لزوم ايجاد الموجود وتحصيل الحاصل مبنى على تأثير القدرة الحادثة
وهو ممنوع ولئن سلم فانما يلزم ايجاد الموجود بالوجود الذى هو اثر
ذلك الايجاد وهو غير مستحيل انما المستحيل ايجاد الموجود بوجود
سابق وهو غير لازم وردّ الثانى بانه يكفى فى التكليف كون الفعل
مما يصح ان تتعلق به قدرة العبد فى الجملة كايمان الكافر بخلاف ما لا يصح
ان تتعلق به قدرة العبد اصلا كخلق الجسم بل نقول مناط التكليف
انما هو القدرة بمعنى الاستطاعة التى هى سلامة الاسباب والآلات
والجوارح وهى موجودة قبل الفعل وبعده ويتفرع على هذه
المسئلة ان الافعال مستندة الى قدرة الله تعالى على القول الاول والى قدرة
العبد على الثانى وان الممنوع من الفعل غير قادر عليه على القول
الاول اذ لا فعل حينئذ فلا قدرة وقادر عليه على الثانى لان القدرة
موجودة والمنع لا ينافيها وانما ينافى المقدور وان القدرة الواحدة
لا تتعلق بمقدورين على القول الاول لان تعلقها بهما انما يكون حين
وجودهما اذ لا وجود لها قبل وجودهما على ما هو المفروض فيلزم
تسبب أثرين متخالفين عن مؤثر واحد فى آن واحد وهو محال
وان كان التسبب عاديا وتتعلق بهما على الثانى اذ لا مانع من تعلقها
بكليهما فى آن واحد تعلق تصحيح لا تعلق تأثير او تعلق تأثير لا فى
آن واحد * واقول الحق ان التكليف بما لا يطاق كما انه لازم على

(القول)

القول الاول لازم على القول الثانى اذ لا شك فى ان القدرة المتقدمة على الفعل هى القدرة بمعنى القوة التى هى مبدأ لافعال مختلفة بحيث اذا انضمت اليها ارادة احد الضدين حصل ذلك الضد لا المستجمعة لجميع شرائط التأثير بالفعل كما هو عند المعتزلة اولجميع شرائط التسبب العادى كما هو عندنا والا لوجب صدوره عقلا او عادة عندها فلا تكون متقدمة عليه وهو خلاف المفروض وهذه القدرة اعنى التى هى بمعنى القوة لا يمكن ان تؤثر فى المقدور ما لم تستجمع لجميع شرائط التأثير كانضمام الارادة للعبد والمباشرة فى الفعل مثلا عند المعتزلة او لجميع شرائط التسبب العادى كانضمام ارادة الله تعالى وقدرته مثلا عندنا والا لزم وجود المعلول بدون علته التامة فالفعل حين التكليف به غير مقدور بالفعل فلا بد من الذهاب الى ما ذهب اليه اهل الحق من انه يكفى فى التكليف كون الفعل مما يصح ان تتعلق به القدرة فى الجملة وان الممنوع من الفعل غير قادر عليه كالزمن وان القدرة الواحدة لا تتعلق بمقدورين اذ لا يمكن ان تتعلق بضدين معا فى وقت واحد فتؤثر فيهما كما عرفت بخلاف القدرة التى هى قبل الفعل لانها لا يترتب على تعلقها بهما حينئذ ايجاد وتأثير ولو ترتب فليس فى آن واحد كما مر وان القدرة التامة لا تكون الا مع الفعل فقد انهدم بهذا التقرير اساس المعتزلة من اصله واصلهم من اسه واما حديث امتناع بقاء الاعراض الذى هو اس لمذهب اهل السنة فمبنى على ثلاث مقدمات اثبات كل منها اصعب من خرط القتاد فالتعويل على ما قلنا واذا ثبت ان القدرة المستجمعة مطلقا لا تكون الا مع الفعل فنقول المؤثر الحقيقى فى فعل العبد اما قدرة الله تعالى وحدها او قدرة العبد وحدها او مجموع القدرتين وعلى الاول اما ان لا يكون للعبد كسب واختيار ابدا وهو مذهب الجبرية وبطلانه ضرورى للفرق الظاهر بين حركة المرتعش وحركة المختار او

يكون للعبد كسب واختيار وهو مذهب الكسبية وعلى الثانى فاما ان تؤثر فيه قدرة العبد وحدها بطريق الوجوب وامتناع التخلف وهو مذهب الفلاسفة او بطريق الصحة والاختيار وهو مذهب جمهور المعتزلة وعلى الثالث فاما ان يتعلقا جميعا باصل الفعل وهو مذهب الاستاذ منا والنجار من المعتزلة وامتناع اجتماع علتين مستقلتين على معلول واحد يبطله واما ان تتعلق قدرة الله تعالى باصل الفعل وقدرة العبد بوصفه ككونه طاعة او معصية كما فى لطم اليتيم تأديبا او ايذاء وهو مذهب القاضى وقريب من مذهبنا والمعتزلة لما اتفقوا مع الحكماء على القول بتاثير قدرة العبد بالاستقلال لم يتميز مذهبهم عن مذهب الحكماء الا بامر خارج عن التأثير وهو القول بوجوب ذلك التأثير على العبد عقلا وامتناع انفكاكه عنه عند الحكماء وباختيار العبد فيه عند المعتزلة فلم يبق النزاع الا بيننا وبينهم فنقول لنا على خلق الله تعالى لافعال العباد دلائل عقلية ونقلية * فمن العقلية ان فعل العبد ممكن وكل ممكن فهو مقدور لله تعالى فلو كان بقدرة العبد ايضا لزم اجتماع المؤثرين المستقلين على اثر واحد وهو باطل فلا بد أن يكون بقدرة الله وحدها وهو المطلوب * ومنها لو كان العبد خالقا لافعاله لكان عالما بتفاصيلها ﴿ الا يعلم من خلق ﴾ لكن اللازم باطل فكذا الملزوم فكانت بقدرة الله وقد يقرر هكذا لو لم يكن العبد عالما بتفاصيل افعاله لم يكن خالقا لها لكن اللازم حق فالملزوم مثله فكانت بقدرة الله تعالى * ومنها لو كان فعل العبد واقعا بقدرته واختياره لكان متمكنا من فعله وتركه وحينئذ يحتاج الى مرجح لاحدهما على الآخر وذلك المرجح يكون من العبد لغرض الاستقلال فينقل الكلام الى صدوره عنه وهكذا فيتسلسل او ينتهى الى مرجح لا يكون من العبد فثبت على تقدير الاستقلال عدم الاستقلال وهو محال فلا يكون واقعا

بقدرة العبد بالاستقلال قطعا وهذا الزام للخصم القائل بالاستقلال لاتحقيق للمذهب اذ لايلزم من عدم استقلال قدرة العبد فى فعله استقلال قدرة الله تعالى فيه ولايرد النقض بفعل البارى تعالى لان المرجح ثمه ازلى هى الارادة القديمة * ومنها ان فعل العبد اما معلوم الوقوع لله تعالى فيجب اواللاوقوع فيمتنع وان كان فى نفسه ممكنا فان قيل المعلوم عندالله تعالى وقوعه بقدرة العبد واختياره قلنا فلابد أن يختاره وهذا ايضاالزام للخصم اذ لايلزم من وجوب اختياره له ان لايكون واقعا بقدرته والنقض بفعل الله تعالى غير وارد لان علمه تعالى ليس سابقا على ارادته فيجب مطابقته للعلم قبل تعلق الارادة بل تعلق العلم والارادة به معا فهو تعالى متمكن من الفعل والترك حين التعلق فلا وجوب كذا قاله العلامة التفتازانى * اقول يكفى فى ورود النقض سبق تعلق علمه تعالى على تعلق ارادته بالذات ولايحتاج الى تخلل مابين التعلقين ولايلزم من عدم سبق العلم للارادة عدم سبق التعلق على التعلق فالصواب ترك هذا الدليل من اصله * ومنها انه لوكان فعل العبد بقدرته فلواراد تحريك جسم مع ارادة الله تعالى سكونه فاما ان يتفق ما اراداه فى الوقوع اواللا وقوع فيجتمع الضدان اويقع احدهما دون الآخر فيلزم الترجيح بلا مرجح وعليه منع ظاهر فانظر * ومنها انه لوقدر العبد على فعله لقدر على اعادته لكن اللازم باطل * ومنها لوقدر عليه لقدر على مثله واللازم باطل ايضا * ومنها انه لوقدر عليه لقدر على خلق الجسم اذ لا مصحح سوى الحدوث والامكان واللازم ضرورى البطلان * ومنها انه لوقدر على فعل الايمان لكان فعله اشرف من فعل البارى كخلق الشيطان تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا * ومنها انه لوقدر على افعاله لما صح سؤال الايمان ولا الشكر عليه مع انه مأمور به * واما النقلية فمنها ماورد فى معرض التمدح بانه الخالق لكل

شيء وحده كقوله تعالى ﴿ هل من خالق غير الله * لا يخلقون شيئا وهم يخلقون * الا له الخلق والامر ﴾ وعلى نحوها كثير * ومنها قوله تعالى ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ اما على المصدرية المستغنية عن الاضمار فظاهر واما على الموصولية فلشمولها الافعال التي يكسبها العبد من الحركات والسكنات والاوضاع والهيئات اذ فيها النزاع لا في الايقاع * ومنها الآيات الدالة على انه تعالى هو خالق الاعراض كقوله تعالى ﴿ وانه هو اضحك وابكى * كتب في قلوبهم الايمان * هو الذي يسيركم في البر والبحر * ما يمسكهن الا الله ﴾ الى غير ذلك من الآيات * ومنها الآيات الدالة على ان جميع النعم من عنده تعالى ومن جملة النعم الايمان والطاعات * ومنها قوله تعالى ﴿ قل كل من عند الله ﴾ * ومنها الآيات الدالة على انه تعالى فعال لما يريد ولا شك ان ارادته تعالى متعلقة بالكل * ومنها الادعية القرآنية الواردة في طلب الايمان والتوفيق والهداية واقامة الصلاة وغير ذلك من الطاعات * ومنها الاحاديث الدالة على ما ذكرنا تفصيلا وعلى ان كل كائن فهو من عند الله وبتقديره ومشيئته اجمالا * ومنها اجماع الصحابة ومن بعدهم قبل ظهور اهل البدع على ان كل شيء فهو بتقدير الله ومشيئته ولا بد لهم بذلك من مستند قاطع حتى ان المتقدمين من المعتزلة لقرب عهدهم باجماع السلف على انه لا خالق الا الله كانوا يمنعون من تسمية العبد خالقا لافعاله ثم اجترأ المتأخرون على هذه التسمية ولم يتحاشوا منها ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ وقد استدلوا على ان العبد خالق لافعاله بادلة عقلية ونقلية ايضا * فمن العقلية انه لولا استقلال العبد بالفعل لبطل المدح والذم والامر والنهي والثواب والعقاب وفوائد الوعد والوعيد وارسال الرسل وانزال الكتب وبطل الفرق بين الكفر والايمان والاساءة والاحسان وفعل البني والشيطان مع ان ذلك البطلان ظاهر

البطلان والجواب ان هذا انما يرد على المجبرة النافين لقدرة العبد واختياره لاعلى من يجعل فعل العبد متعلقا لقدرته وارادته واقعا بكسبه وعقيب عزمه وان المدح والذم قديكون باعتبار المحلية دون الفاعلية وان الثواب والعقاب حق الله فيتصرف فى حقه من غير لمية والتكليف والبعثة والوعد والوعيد دواع الى ارادة الفعل اوالترك ليخلقه الله تعالى على ان من الفسادات مايلزمكم ايضا كبطلان استقلال العبد بناء على وجوب الفعل وامتناعه لوجود المرجح اوعدمه وتعلق علم الله تعالى بوقوعه اولا وقوعه كما مر * ومنها ان الافعال القبيحة يقبح من الحكيم خلقها كالظلم والشرك واثبات الولد والجواب انا لانسلم القبح العقلى ولوسلمناه فانما القبيح كسب فعل القبيح لاخلقه بل ربما يكون لخلقه عاقبة حميدة ومصلحة فيكون حسنا بخلاف الكسب فان العبد لايعلم ان فيه مصلحة بل يعلم انه مفوت للمصلحة * ومنها ان فعل العبد واجب الوقوع على وفق ارادته فلوكان بايجاد الله لما كان كذلك لجواز أن لايحدثه عند ارادته بل عند كراهته والجواب انه لوسلم وجوب الوقوع يقع على وفق ارادة الله الموافقة لارادة العبد عادة * ومنها انه لوكان الله خالقا لافعال المخلوقين لكان فاعلالها وصح اتصافه بها فيكون كافرا ظالما فاسقا شاربا للخمر الى مالايحصى والجواب ان هذا هذيان وحماقة اوعنت ووقاحة لان الفعل انما يتصف به حقيقة من قام به لا من اوجده والا لزم ان يكون الله تعالى اسود ابيض الى غير ذلك من الاعراض لانه خالقها * قلت بل يلزم منه بطلان مذهبهم بمجرد قولى لهم مذهبكم باطل لان الله تعالى خلق لى هذا الكلام فيتصف به فيكون هو المتكلم به القائل مذهبكم باطل ﴿ فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ ولا عجب من عوامهم وجهالهم

حيث شنعوا علينا فى هذا المعنى فى الازقة والاسواق بل العجب من خواصهم وعلمائهم كيف سودوا به الصحف والاوراق* واما النقلية فمنها الآيات المسند فيها افعال العباد اليهم وهى كثيرة جدا والجواب ان اسناد الفعل الى من قام به لاينا فى كونه مخلوقا لله تعالى ولاحقيقية الاسناد * ومنها الآيات الواردة فى الامر والنهى والمدح والذم والوعد والوعيد وقصص الماضين للانذار والاعتبار والجواب عنها مر فى اول البحث * ومنها الآيات الدالة على اسناد الالفاظ الموضوعة للايجاد الى العباد كالعمل والفعل والصنع والكسب والجعل والخلق والاحداث والابتداع والجواب انها مجاز فى المسند او الاسناد جمعا بين الادلة * ومنها الآيات الدالة على انه لامانع من الايمان والطاعة ولاملجئ الى الكفر والمعصية والجواب ان المفقود الموانع الظاهرة كالموانع عن صرف القدرة التى يعلمها جهال الكفرة لاالموانع التى خفيت على علماء القدرية * ومنها تعليق افعال العباد بمشيئتهم ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ والجواب ان مشيئتهم بمشيئته ﴿ وما تشاؤن الا ان يشاء الله ﴾ والحاصل ان الآيات الواردة فى مسئلة خلق الاعمال متعارضة والشواهد الظاهرة اذا تعارضت بطلت شهادتها سيما فى مقام اليقينيات وقد علمت بطلان ادلتهم العقلية التى هى بزعمهم يقينية فلم يبق الا مذهب الحق مذهبا وهو أنه لاجبر محض ولاخلق صرف بل العبد كاسب والرب خالق وللقوم فى معنى الكسب والفرق بينه وبين الخلق عبارات مثل الكسب وقع بآلة والخلق لابآلة والكسب مقدور وقع فى محل قدرته والخلق مقدور وقع لافى محل قدرته والكسب لا يصح انفراده بالقادرية والخلق يصح وتحقيق البحث انك قد سمعت ان العلم تابع للمعلوم فلا مدخل له فى الوجوب والامتناع وسلب القدرة والاختيار وسمعت ايضا ان

القدرة تتعلق بالفعل اوالترك على حدّ ماتعلق به العلم تعلقا صحيحا لاحدهما فتكون القدرة تابعة للعلم التابع للمعلوم فتكون تابعة للمقدور الذى هو المعلوم وسمعت ايضا ان الارادة تتعلق باحدهما على حدّ ما تعلقت به القدرة والعلم تعلقا مرجحا ومخصصا للمقدور فى احد الاوقات فتكون الارادة ايضا تابعة للقدرة التابعة للعلم التابع للمعلوم فتكون تابعة للذى اراده الله تعالى الذى هو المعلوم والمقدور فاذا لاحظت هذه المقدمات الثلاث علمت ان فعل العبد متبوع بمعنى ان العلم والقدرة والارادة تتعلق به على حدّ ماهو عليه فى نفسه وذاته فتوجده على حدّ ذلك التعلق لا تابع بمعنى انه يكون متعلقا لها فيوجد بها ولو على غير ما هو عليه ثم اذا تعلقت ارادة العبد به وصرف همته اليه فيما لا يزال تعلقت به قدرة الله وارادته تعلق تخصيص وايجاد بالفعل على حدّ ما تعلقت به ارادة العبد وهذا معنى مايقال ان ارادة الله تابعة لارادة العبد واذ تحققت ذلك تحققت ان صرف العبد قدرته وارادته الى الفعل كسب وايجاد الله تعالى الفعل عقيب ذلك خلق والمقدور الواحد داخل تحت القدرتين لكن بجهتين مختلفتين فاصل الفعل مقدور الله تعالى بجهة الايجاد ومقدور العبد بجهة الكسب فاذا اراد العبد فعل الخير وصرف ارادته وقدرته التى هى مبدأ لافعال مختلفة كما حققناه لك سابقا الى ذلك الفعل خلق الله تعالى له قدرة فعل الخير التى هى مستجمعة لشرائط التأثير لتكون سببا عاديا واوجد معها ذلك الفعل وعكسه اذا اراد فعل الشر فهو المحصل لخلق قدرة الخير واكتسابه على الاول فاستحق المدح والثواب وهو المضيع لخلق قدرة الخير واكتسابه بل المحصل لخلق قدرة الشر واكتسابه على الثانى فاستحق الذم والعقاب فليت شعرى هل فى هذا شائبة جبر فضلا عن محضه فان قلت ارادة الله تعالى وان كانت تابعة لارادة العبد فيما لا يزال

بمعنى انها تتعلق بالفعل اوالترك على حدّ ما تعلقت به ارادة العبد لكن ارادة العبد لابدأن تتعلق باحدهما على حدّ ما تعلقت به ارادة الله تعالى فى الازل حيث لاعبد ولاارادة ليتطابق التعلقات كلها والالزم تخلف ارادة الله تعالى عن الذى اراده وايجاد الموجود على غير حدّ ماهو عليه وكلاهما محال فلزم الجبر قلت ان العبد لايعلم ماذا هو عليه وعلى ماذا تعلقت به ارادة الله حتى يجب عليه ان يطابق ارادته لارادة الله والفعل والترك بالنسبة الى قدرته سواء فله ان يعلق ارادته بايهما شاء غاية مافى الباب ان فعله يقع مطابقا لما تعلقت به الارادة وعلى حدّ ماهو عليه فى الازل وهذه المطابقة ليست فى شىء من الجبر اصلا لانها واقعة باختياره ومشيئته من غير علم له بها قبل الفعل بل العلم وقته حتى لو فرضنا ان الله تعالى خلق فى العبد قدرة وارادة تؤثران بنفسهما من غير تعلق لقدرة الله تعالى وارادته ولم تتعلق قدرة الله تعالى وارادته فى شىء من الفعل والترك لم يفعل العبد الاماهو عليه ولو لزم من هذا شائبة جبر للعبد مع عدم علمه بماذا هو عليه لزم ان يكون الله تعالى مجبرا من باب اولى لعلمه بماذا هو عليه من جميع الافعال فان قلت اذا كان الكسب عبارة عن تعلق قدرة العبد وارادته بالفعل اوالترك ومعلوم انهما مخلوقتان لله تعالى قبل تعلقهما باحدهما عاد المحذور لكونهما ليستا فى وسع العبد ومقدورتان له قلت لايلزم من كونهما مخلوقتين لله وغير مقدورتين للعبد كونه مجبرا والا لزم ان يكون الله تعالى مجبرا لكون قدرته وارادته بل سائر صفاته غير مقدورات له الاترى ان من اعطى عبده سكينا ليستعين بها على قضاء حوائجه فقتل بها انسانا لم يكن مجبرا له على قتله واستحق ذلك العبد العقوبة وانما يلزم الجبر لوكان هوالخالق لنفس تعلق قدرته وارادته والتعلق امر اعتبارى لايتعلق به خلق وايجاد كماقالوا فى الايقاع والايجاد والوقوع والحصول وسائر المقولات النسبية سوى الاين والالاحتاج

الى تعلق ثان للقدرة فى ايجاده فننقل الكلام الى التعلق الثانى وهلم جرا فتتسلسل التعلقات التى هى امور موجودة على مافرضناه ان كان الموجد للكل هو القدرة الاولى والتعلقات والقدرات ان كان الموجد لكل تعلق قدرة على حدة نعم التعلق معلوم لله ومشاء له ومقدر عنده وقد علمت ان العلم والقدرة والارادة توابع لما هو عليه وبهذا التحقيق الذى لم نسبق اليه ظهر لك امور * احدها ان الثواب والعقاب والسعادة والشقاوة وزيادة العمر والرزق ونقصهما كل منها مرتب على فعل العبد الاختيارى وانه ليس له حجة على الله ولله الحجة البالغة * وثانيها ان معنى مثل قوله عليه الصلاة والسلام ﴿السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه﴾ ان ماهو عليه من السعادة والشقاوة الذى يكسبه بطاعته أو معصيته مكتوب عليه وثابت له من بطن امه بل من الازل وهذا لاينافى اختياره فى فعله وكسبه لاحدهما بذلك الفعل الاختيارى * وثالثها ان النصوص الناطقة بترتب السعادة والشقاوة وزيادة العمر والرزق ونقصهما على الطاعة والمعصية لايجوز تأويلها بل هى محمولة على ظواهرها كما ان النصوص الناطقة بترتب الثواب والعقاب والمدح والذم ودخول الجنة والنار على الطاعة والمعصية كذلك اذهما مشتركان فى علة الامكان واخبار الصادق عن ترتب كل منهما على فعل العبد الاختيارى فما يجوز للبعض يجوز للبعض الآخر ومايمتنع على البعض يمتنع على البعض الآخر فلو جاز تأويل البعض جاز تأويل الكل ويلزم منه امور * الاول كون جميع الآيات والاحاديث الواردة فى الوعد والوعيد والانذار والتبشير والمدح والذم والثواب والعقاب ودخول الجنة والنار التى هى معظم الشرائع بل هى عين الشرائع مجازات غير مراد بها حقائقها وبطلانه ضرورى بل هو افتراء على الله تعالى * الثانى تكذيب القرآن فى جميع المواضع التى وصف الحق تعالى كتابه بالحكيم والمبين والمحكم والمفصل والشفاء والاهداء والرحمة والبشرى كقوله

تعالى ﴿ تلك آيات الكتاب المبين * تلك آيات الكتاب الحكيم * هدى وبشرى للمؤمنين * كتاب احكمت آياته ثم فصلت * قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور ﴾ وما اشبه ذلك لان الفاظه اذا لم يرد بها معانيها الحقيقية ولم يكن هناك من يبين لنا المقصود منها والمفروض ان الانبياء كلامهم ايضا من هذا القبيل لا يكون من تلك الاوصاف فى شئ بل يكون ضلالا ونقمة وعلة وما اشبه ذلك حاشا كلام الله وكلام انبيائه من ذلك * الثالث يلزم ثبوت الغش واللؤم والحيلة والمكر للانبياء عليهم السلام ان كانوا قد علموا معانى كتبهم ولم يبينوها لنا او بينوها على خلاف معانيها المقصودة ويلزم الجهل اذا لم يكونوا عالمين بها * الرابع يلزم ان يكون جميع الامم على الضلال لانهم لم يعلموا معانى ما جاءت به انبياؤهم ولم تبين لهم فاعتقدوها على غير ما هى عليه وعملوا بها على موجب ذلك الاعتقاد والحاصل ان المحذورات اللازمة من تأويل النصوص الممكن حملها على معانيها الحقيقية كثيرة جدا مع انها بالغة حد الكفر لا اقول بتكفير من يأول لان لازم المذهب ليس بمذهب بل اقول بابتداعه على ان السلف كانوا لا يتجاسرون على تاويل النصوص التى يتعذر حملها على معانيها الحقيقية كالاستواء على العرش وكونه تعالى معنا وله يد ووجه وشبهها مما يدل عليه الآيات المتشابهات وكانوا ينسبون الابتداع الى من يأولها كما اشتهر عن الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه انه قال حيث سئل عن معنى الاستواء على العرش العرش معلوم والاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عن هذا بدعة وما اراك ايها السائل الا مبتدعا فنسبة الابتداع الى الذى يتجاسر على تأويل النصوص التى يمكن حملها على معانيها الحقيقية اولى * رابعها ان نفس التبديل والتحويل فى الآجال والارزاق بل فى كل شئ هو حقيقة مقدور لله تعالى

(لانه)

لانه فى نفسه ممكن وقد سبق ان قدرة الله تعالى تتعلق بكل مقدور فلا بأس ان يقع ويدل عليه دلائل * منها النصوص المتقدمة فى الباب الاول والثانى اجمالا وتفصيلها مر * ومنها ماصح من الادعية الواردة فى الكتب الالهية وعلى ألسنة الانبياء ومن يقوم مقامهم من الاولياء والعلماء ومن الامر بها من طلب السعادة ومحو الشقاوة وطلب الغنى والهدى والاستعاذة من الفقر والضلال وطلب طول العمر لهم ولمن والاهم وقصمه لمن عاداهم بل طلب سائر انواع الخيرات والاستعاذة من سائر انواع الشرور لهم ولغيرهم بل قد صنف فى ذلك من يعتد به كتبا ورسائل واحزابا واورادا فلو لم يمكن التبديل والتحويل لما صح ذلك كله لان طلب المحال والامر بطلبه لا يتصور من آحاد العقلاء فكيف يتصور من الانبياء والاولياء والعلماء بل كيف يتصور أن يأمر الله عبده بطلب المحال ويعلمه كيف يطلب المحال و يوعده باعطاء ذلك المحال اياه ودعوى ان ذلك لمجرد اظهار التذلل والافتقار يأباه ظواهر النصوص الناطقة بل القاطعة بالامر بالدعاء والوعد على الاجابة كقوله تعالى ﴿ ادعونى استجب لكم * اجيب دعوة الداع اذا دعان ﴾ لان معنى الاجابة هو ايصال الداعى الى مطلوبه على الحال الذى طلب عليه كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم * فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن * فاستجبنا له ووهبنا له يحيى * فاستجبنا له فنجيناه من الكرب العظيم * فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم ﴾ بعد أن ذكر تعالى ما هو محكم فى ان مطالبهم كانت تلك الامور وعدم الاجابة فى بعض الاوقات لفقد شرط من شروطها كما تقدم فى الباب الثانى لاينافى ذلك * ومنها ماصح فى حديث التراويح من عذره صلى الله عليه وسلم عن الخروج اليها وقد اجتمع الناس ينتظرون خروجه عليه السلام لمزيد رغبتهم فيها بقوله

﴿ خشيت ان تفرض عليكم فتعجزوا عنها ﴾ فانه لا معنى لهذه الخشية لولا علمه بامكان التبديل والتغيير فانه ان كان قد سبق القضاء بانها ستفرض فلابد أن تفرض وان سبق القضاء بانها لا تفرض فمحال ان تفرض على ذلك الفرض على انه قد جاء فى حديث فرض الصلوات ليلة المعراج ما هو ظاهر فى انها خمس صلوات مفروضة لا غير فما معنى الخشية بعد العلم بذلك لولا العلم بامكان التبديل والتغيير * ومنها ما صح انه عليه الصلاة والسلام كان يضطرب حاله الشريف ليلة الهواء الشديد حتى انه لاينام وكان يقول فى ذلك اخشى ان تقوم الساعة فانه لا معنى للخشية مع اخبار الله تعالى له ان بين يديها مالم يوجد اذ ذاك كظهور المهدى وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج ودابة الارض وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك مما يستدعى تحقيقه زمانا طويلا فلو لم يعلم عليه السلام انه يمكن التبديل والتغيير وان ماقضى الله من اشراطها يمكن تغييره ما خشى من ذلك * ومنها ان المبشرين بالجنة كانوا من اشد الناس خوفا من النار حتى ان منهم من كان يقول ﴿ ليت امى لم تلدنى ﴾ وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول ﴿ لو نادى مناد كل الناس فى الجنة الا واحدا لظننت انى ذلك الواحد ﴾ وهذا مما لا معنى له مع اخبار الصادق وتبشيره له بالجنة لولا العلم بامكان التبديل والتحويل والاعتراض بان ماعلم فى الازل لا يمكن تبديله مدفوع بان التبديل من جملة ما علم الله فى الازل فهو تقرير للمعلوم لا تغيير له فان قلت امكان التبديل والتغيير فيما اخبر به الصادق كتبديل وقت قيام الساعة ودخول المبشرين فى الجنة محال والا لزم عدم الوثوق بالانبياء وبما جاؤا به قلت امكان التبديل والتغيير فيما اخبر به الصادق من جملة ما اخبر به الصادق فان اضطرابه وقوله اخشى ان تقوم

الساعة صريح فى امكانه وكذلك شدة خوف المبشرين فى الجنة مع ما تقدم من اقوالهم صريح فى ان لهم علم من الصادق بهذا الامكان على ان كلامنا خاص فيما اخبر الصادق عن وقوعه فضلا عن امكانه كتبديل الشقاوة سعادة والعكس ونقصان العمر والرزق والزيادة نسأل الله فى كل الخيرات الزيادة * واما الخاتمة نسأل الله حسنها ففى وجوب الاقتصاد فى الاعتقاد والرضاء بالقضاء دون المقضى وخلاصة الكلام فى الاول ما اشار اليه الامام حجة الاسلام من انه لما بطل الجبر المحض بالضرورة وكون العبد خالقا لافعاله بالدليل وجب الاقتصاد فى الاعتقاد وهو أن افعال العباد مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه عندنا بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون على وجه الاختراع اذ قدرة الله تعالى فى الازل متعلقة بالعالم من غير اختراع ثم تتعلق به عند الاختراع نوعا آخر من التعلق فحركة العبد باعتبار نسبتها الى قدرته تسمى كسبا له وباعتبار نسبتها الى قدرة الله تعالى خلقا فهى خلق للرب ووصف للعبد وكسب له وقدرته خلق للرب ووصف للعبد وليست بكسب له وتفصيله ان معوّل الجبرية على مقدمات ثلاث اولاها بديهية هى انه لابد لترجيح الفعل على الترك من مرجح ليس من العبد ثانيها الزامية هى ان تفاصيل احوال العبد غير معلومة له ثالثها خطابية هى ان القدرة على الايجاد صفة كمال لاتليق بالعبد الذى هو منبع النقصان ومعوّل القدرية ايضا على مقدمات ثلاث اولاها بديهية هى ان العبد لو لم يكن قادرا على افعاله لما حسن المدح والذم والامر والنهى ثانيها الزامية هى ان افعال العباد واقعة على وفق مقاصدهم ودواعيهم ثالثها خطابية هى ان افعال العباد تكون سفها وعبثا فلا تليق بالمتعالى عن النقصان وقد علمت ان المقدمات الثلاث للجبرية وان لزم منها ان يكون الخالق

لافعال العباد هو الله تعالى لكن لا يلزم منها ان لا يكون للعبد كسب واختيار بل هو مضطر مجبر فى افعاله كما هو مذهبهم اذ الفرق بين حركة المختار وحركة المرتعش ضرورى فبطل مذهبهم بالضرورة وعلمت ايضا ان المقدمة الاولى للقدرية مبنية على الحسن والقبح العقليين ونحن لا نقول بهما والثانية على جواز عدم موفقة ارادة الله لارادة العبد وقد علمت لزوم الموافقة عادة والثالثة على ان من يوجد الفعل يتصف به حقيقة وقد عرفت ان هذا حماقة او وقاحة فبطل مذهبهم بالدليل بقيت الادلة القرآنية المتعارضة التى ملئت القرآن وكذا الآثار والاوضاع والحكايات التى هى شائعة فى كل زمان حتى قيل ان وضع النرد على الجبر والشطرنج على القدر فعوّل كل من الفريقين الجبرية والقدرية على بعض من المتعارضين واهمل البعض الآخر مع امكان الجمع بين تلك الادلة وقد عرفت فى المقدمة ان المتعارضين يجب الجمع بينهما ما امكن فلما بطل المذهبان عقلا ونقلا وجب ان يصار الى غيرهما ولما كان مذهب الكسبية مذهبا مقتصدا جامعا بين المتعارضات من العقلية والنقلية ومع هذا فهو مبنى على مقدمة يلزم من القدح فيها سدّ باب اثبات الصانع هى ان الممكن لا يترجح الا بمرجح وجب الاعتقاد به فهذا تفصيل ما اشار اليه الامام الغزالى رحمه الله تعالى وخلاصة الكلام فى الثانى ان القضاء لما كان عند الاشاعرة هو ارادة الله الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هى عليه فيما لا يزال والقدر ايجاده اياها على قدر مخصوص وتقرير معين فى ذواتها واحوالها ومرجعهما الى التقدير والخلق كان الرضاء بالقضاء واجبا لا بالمقضى لان المقضى قد يكون من الشرور الاخروية كالكفر والمعصية فلا يجوز الرضاء به فضلا عن وجوبه وتفصيله ان للفعل نسبة الى الله تعالى باعتبار فاعليته وايجاده اياه ونسبة اخرى الى العبد باعتبار محليته واتصافه به وانكاره وعدم الرضاء به باعتبار

النسبة الثانية دون الاولى ووجوب الرضاء به باعتبار النسبة الاولى دون الثانية والفرق بينهما ظاهر لانه لايلزم من وجوب الرضاء بشيء باعتبار صدوره من فاعله وجوب الرضاء به باعتبار وقوعه صفة لشيء آخر اذلو صح ذلك اللزوم لوجب الرضاء بموت الانبياء وهو غير جائز فضلا عن انه غير واجب والحكماء لما كانت عندهم الارادة نوعا من العلم والممكنات غير مستندة اليه تعالى بالذات بل بالواسطة فسروا القضاء بالعلم بما ينبغي ان يكون عليه الوجود حتى يكون على احسن النظام واكمل الانتظام وهو المسمى عندهم بالعناية التي هي مبدأ لفيضان الموجودات من حيث جملتها على احسن الوجوه واكملها وفسروا القدر بخروجها الى الوجود العيني باسبابها على الوجه الذي تقرر في القضاء ولما امتنع عقلا عندهم ايجاد ما في هذا العالم مبرأ عن الشرور بالكلية فان المطر المخصب للبلاد يخرب بعض الدور بالضرورة قالوا يجب في الحكمة ايجاده وان لم يكن مبرأ عن الشرور لان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فدخل الشر في القضاء وان كان مكرها غير مرضى فعندهم ايضا يجب الرضاء بالقضاء لان الشر غير مقصود فيه وان لزم دخوله فيه تبعا لا بالمقضى لانه مكره غير مرضى واما المعتزلة فينكرون القضاء والقدر في الافعال الاختيارية الصادرة عن العباد و يثبتون علمه تعالى بهذه الافعال ولايسندون وجودها الى العلم كما اسنده الحكماء بل يسندون وجودها الى اختيار العباد وقدرتهم ومع هذا فيجوز ان تقع افعالهم على خلاف ما اراد الله تعالى عندهم ولذا قال عليه الصلاة والسلام ﴿لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا﴾ وقال عليه الصلاة والسلام ﴿القدرية مجوس هذه الامة﴾ وقال عليه الصلاة والسلام ﴿اذا قامت القيامة نادى مناد في اهل الجمع اين خصماء الله فيقوم القدرية﴾ واما ماروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لرجل قدم عليه من فارس ﴿اخبرني باعجب شيء رأيت﴾ فقال رأيت

اقواما ينكحون امهاتهم وبناتهم واخواتهم فاذا قيل لهم لم تفعلون ذلك قالوا قضاء الله علينا وقدره فقال عليه الصلاة والسلام ﴿ سيكون في آخر امتي اقوام يقولون مثل مقالتهم اولئك مجوس امتي ﴾ ومارواه الاصبغ بن نباته ان شيخا قام الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه بعد انصرافه من صفين فقال اخبرنا عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء الله وقدره فقال ﴿ والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ماوطأنا موطئا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضاء وقدر ﴾ فقال الشيخ عند الله احتسب عنائي ما ارى لي من الاجر شيئا فقال له ﴿ مه ايها الشيخ عظم الله اجركم في مسيركم وانتم سائرون وفي منصرفكم وانتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين ﴾ فقال الشيخ كيف والقضاء والقدر ساقانا فقال ﴿ ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والامر والنهي ولم تأت لائمة من الله لمذنب ولا محمدة لمحسن ولم يكن المحسن اولى بالمدح من المسيء ولا المسيء اولى بالذم من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وجنود الشياطين وشهود الزور واهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الامة ومجوسها ان الله امر تخييرا ونهى تحذيرا وكلف يسيرا لم يعص مغلوبا ولم يطع مستكرها ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثا ولم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾ فقال الشيخ وما القضاء والقدر اللذان ماسرنا الا بهما ﴿ قال هو الامر من الله والحكم ﴾ ثم تلا قوله تعالى ﴿ وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ﴾ وماروى عن الحسن ﴿ ان الله تعالى بعث محمدا الى العرب وهم قدرية يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قوله تعالى ﴿ واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها ﴾

٢ اسم ان فالجواب عن الكل ان ماذكر لايدل الا على ان القول ٢ بان فعل

العبد اذا كان بقضاء الله تعالى وقدره وخلقه وارادته لايجوز للعبد
الاقدام عليه ويبطل اختياره فيه واستحقاقه للثواب والعقاب والمدح
والذم عليه هو ٣ قول المجوس فلينظر أن هذا قول المعتزلة ام قول
الكسبية ولكن من لم يجعل الله له نورا فماله من نور كيف وقدصح عن
علىّ رضى الله تعالى عنه انه خطب الناس على منبر الكوفة فقال ليس منا
من لم يؤمن بالقدر خيره وشره على ان وجوب الايمان بالقضاء والقدر
ثابت فى الكتاب والسنة واجماع الامة حفظنا الله تعالى من شر القضاء
والقدر ووقانا من كل سوء وضرر بحرمة سيد البشر
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه
اجمعين وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين
تممت الرسالة بالخير واليمن والبركة آمين

٣ خبرها سند

وقد قدح زندى الجهد والجد * بحصاتى الهمة والانتهاض *
فاومض بوارق نتائج الاغراض * من قوادح غمائم الاعراض *
واستجلى من تسويد الغياهب غياهب التسويد * ومن بياض
الصباح صباح البياض * الفقير الموثق بقيود الافتقار الى الغنى
المطلق * والذليل المستمسك بعرى حبل عزه الموثق * المتشبث
بسفينة العفو والغفران * حيث استغرق فى بحار الذنوب *
والمستسبل اذيال الستر والامان * على مايبرز منه من مضمرات
النقائص ومستترات العيوب * افقر الورى * واحقر من دب على
الثرى * محمد ضياءالدين ابن الشيخ يحيى الحاتمى عنصرا *
والقادرى مسلكا * والحنفى مذهبا * والموصلى مسقطاً ومسكناً *
كان الله لهما * ولمن والاهما * ولجميع المسلمين * وذلك فى اليوم
الخامس عشر من شهر محرم الحرام المنتظم فى سلك شهور السنة
التاسعة بعد الثلاثمائة والالف من الهجرة النبوية * على صاحبها
افضل الصلاة واشرف السلام واكمل التحية * وبعدما امعن فيه
النظر * جمع من العلماء الاعلام * واستعمل فيه الفكر * جم
من الفضلاء الكرام * فاخرجوا شطأها بغيوث اذهانهم الهطالة *
واراقوا طبعها بجوارى طباع اقلامهم السيالة * حيث امتنوا
بتقاريض هى مقاريض لالسنة الحساد * بل صوارم لرقاب اهل
الغى والعناد * ومجاديح لارتواء صدور اولى النهى والسداد *

تعين كل مفرد منها بالهذية * وتشخص كل واحد
منها بالاشارة الحسية *

﴿ هذا التقريض لعلامة عصره * وفريد دهره * مولانا العالم ﴾
﴿ النحرير * وصاحب التفسير * الذى عز عن النظير * صاحب الفضيلة ﴾
﴿ حسن حسنى افندى قاضى المدينة المنورة سابقا * ومن عز عن ان ﴾
﴿ يكون له فى فضائله لاحقا * لازال ناشرا برود العلوم * على ﴾
﴿ الخصوص والعموم * ﴾

منه العون

لما سرحت طرف طرفى فى هذه الرسالة الانيقه * وجدتها جامعة لصنوف ورود المسائل الدقيقة * فهى للناظر كالحديقة * فلله در مؤلفها العالم الاريب * والاديب اللبيب * على ماجمع فيها من اشتات الدلائل * وقرب ما بعد من غوامض المسائل * بتقرير سلس للسائل * فنسأله تعالى ان ينفع من يطالعها وينظر فيها * بما حوته الفاظها واشتملت عليه من معانيها * وان يحفظنا واياه مع سائر المؤمنين من سوء الاعتقاد * وان يقينا حر جهنم واهوال يوم التناد * بجاه من ادلنا على ذاته بقديم صفاته * وبلغنا محكم تنزيله بآياته * عليه افضل صلواته وتحياته *

قاله الفقير ونمقه ببنانه
السيد حسن حسنى
الموصلى

﴿ هذا التقريض للشاعر الماهر * والعالم الناثر * ذى الجناحين * ﴾
﴿ بلامين * ومن زين صدور الدفاتر * بما شرقت منه المحابر * ﴾
﴿ ذو النظم البديع * المزرى بازهار الربيع * نزيل القسطنطينية * ﴾
﴿ وعمدة العصابة الفاروقية * صاحب السعادة جناب احمد عزت باشا * ﴾
﴿ وفقه الله تعالى لمايشاء بماشا * ﴾

* الا ان مفتاح السعادة لم يزل * من الامد الاقصى بكف محمد *
* ولاشك ان الخير منه ولن ارى * عجيبا اذا مادار فى يد احمد *

لقد وقف فكرى الحائر على هذه الرسالة التى طوت فى صحائفها المحاسن * وجف القلم منها بما هو كائن * فعراه مما اشتملت عليه من الغوامض حالة المقعد المقيم * واضحى متردداً بين التأخير والتقديم * وكلما كررت فيها النظر * واعملت بها الفكر * واستنهضت ذهنى للكتابة عليها * والوقوف لديها * تحير قلمى منكساً رأسه * مصعدا انفاسه * لان الخوض بهذا البحث المتين قد افحم الفحول * وجعل سيف آرائهم غير خالية عن الفلول * لكنما هذا المؤلف الفاضل * لم يدع قولاً لقائل * بل كشف عن مخدرات هذا البحث قناع الاشكال * وابرز هلاله فى افق الكمال * واقام ميزانه بالقسط محافظةً لزلة الاقدام * فنقض وابرم ما حدث فيها من النقض والابرام * فما وسعنى السكوت عن الكلام * الذى تمت لنابه الفائده * لانه ارانا بتدقيقاته صدوره وبتحقيقاته موارده * كيف لا وهو روض انا نسيمه * وحوض انا جميمه * وعرارانا شميمه * وعود جمرته لسانى * وشكره داخل تحت ضمانى * الا وهو العالم الذى غرّدت بلا بل اقلامه على غصون التأليف * ونظمت صناع انامله درر العلوم فتزينت اعناق الفضلاء بقلائد ذلك الترصيف والتصنيف * جناب الافضل الاعلم * والهمام الاقوم * من زين بلدتى * بل اهل جلدتى * العالم العلامة * والحبر الفهامة * محمد افندى الحاتمى الموصلى * لازال ملحوظاً بالنظر الخفى والجلى * فهو للفضل عينه وقراره * وللعلم شعلته وناره * وللكمال شعاره ودثاره * وللادب اكامه وازراره * وللطف نواره وازهاره * فالعلم احدى فضائله * والادب ايسر فواضله * نعم ان خلاصة الذهب تظهر بالسبك * والنقد يتبين عند المحك * فالانسان مجبور بها على الاخذ لا الترك * حيث اجراها فى اعذب العبارة اسلوبا * وقوم صعادها فاطردت انا بيب معانيها انبوباً انبوبا * لازال ملجأ

فيا حرر وحبر * لمن غرق ذهنه وتحير * فى امواج بحر القضاء والقدر * محفوظاً بعناية من جعل الاجل محتوما * لايتأخر فرد عن علمه * والرزق مقسوما * لايتقدم شئ عن حكمه * ما تلاتال بفصل الخطاب ﴿ يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ﴾

وكتب الفقير اليه عزشانه
احمد عزت فاروقى

﴿ هذا التقريض لواحد الكتاب * فى كل باب * والساحب ﴾ ﴿ ذيل فضله * وفاضل ذيله * على المثل السائر * كما دار ﴾ ﴿ فلكه الدائر * على كل كاتب وشاعر * فخر الجرثومة ﴾ ﴿ الفاروقية * وزهرة تلك الروضة العمرية * صاحب السعادة ﴾ ﴿ جناب عبد الله حسيب افندى * لازال موفقا للخير فى كل ﴾ ﴿ ما يعيد ويبدى ﴾

* قالوا مفاتيح الامور كثيرة * ما كل مفتاح يفيد نجاحا *
* لكن مفتاح السعادة للذى * يبغى النجاح جعلته مفتاحا *

لقد تسرحت اهداب انظار افتخارى * بامشاط سطور طروس هذا التأليف الشريف * المستغنى عن الترصيف والتوصيف * المتوشحة معانيه * المتدفقة مبانيه * من ينبوع قلم قد اقسم * بالنون والقلم * ان بدائعه تفجرت من عيون فيوضات البارى * وزلال فوائده على رياض الاذهان جارى * وهو لفارس ميدان المنقول والمعقول * الذاهب حسن انسجامه بالعقول * العلامة الاديب * والفهامة الاريب * الذى لا يشك احد فى فضله وكماله ولا يريب * من له اليد الطولى فى المنظوم والمنثور * صاحب

الشعر والشعور * حضرة محمد افندى الحاتمى الموصلى * فهو قد اتخذ البلاغة شعار * والفصاحة دثار * لازالت محابر افكاره * على صفحات نور آثاره * توجل الليل فى النهار * وضياء مشارق فضائله السائل كالسيل * فى سواد عيون ارباب الالباب يولج النهار فى الليل * فرأيته قد جمع فيه عقود جواهر ويواقيت ما نظمها فى اسلاك درره الشعرانى * ولافاز فى مفازات معانيها التفتازانى * فسبحان القادر * لم ترك الاول للآخر * والواحد الاحد ماتمثل لفىّ مثلها ثانى * ولا فى جهات محاسنها الست لها مدانى * والسبع المثانى * ولا وجدت وان جدّيت شبهها نسخة اخرى * ورب الشعرى * كيف لا وادهم قلم ذهنه الرائض * الكاشف الغوامض * الجامع بين السنن والفرائض * قد حل فى روح الشروح * وحل عقد نفائات التعقيدات من خفايا العقائد * فجعل صدر الطالب للوضوح مشروح * وامتطى يراع براعته متون المتون * وجاب سباسب اسباب التدقيق * فى الامر الدقيق * فازال الشبهات والظنون * وناداه الالهام الآلهى ﴿ قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ﴾ * فلهذا لا استطيع حصر انوار فضائله فى مشكاة مصباح الصباح والمساء

* فهبنى قلت هذا الصبح ليل * ايعمى العالمون عن الضياء *

وهل اقدر على استقصاء قصصه الذى يقص الحق فى سطرين * وهو للفضائل كالشمس المنيرة التى قد نشرت اجنحة اشعتها فى الخافقين * وبينى وبينها بعد المشرقين * وقبل ان ينطلق لسانى * وينطق جنانى * بانى لست هناك * اعترف بان العجز عن درك الادراك ادراك * وما ادراك *

حرره الفقير الى عناية ربه القدير
فاروقى عبد الله حسيب

(هذا)

﴿ هذا التقريض للعالم الفاضل * والاديب الكامل * طاهر ﴾
﴿ الاخلاق بالاتفاق * والجامع لاشتات المكارم على الاطلاق * ﴾
﴿ صاحب الفضيلة محمد طاهر افندى الاطاسى * لازال محفوظا ﴾
﴿ من مكايد الدهر القاسى * مادامت الاعلام وثبتت الرواسى ﴾

حمداً لمن تحيرت بباهر حكمته اولو الالباب * واستندت لتأثير قدرته عموم المسببات والاسباب * الفاعل بمحض الاختيار بلا ايجاب * * يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب * وصلاة وسلاما على من ارسل للعالمين رحمة * وتبدلت بجاهه فرضية الصلاة من الخمسين الى الخمس رفقاً بالامة * المؤيد بالحجج القاطعة * والآيات اللامعة * انذر اهل الالحاد ولمن تمسك بسنته السنية بشر * واطمع بانقلاب الشقاوة سعادةً لمن اناب من ذنبه واستغفر * وعلى آله واصحابه الذين خصوا بمزيد الفضائل والكمالات * والذين يدعون ربهم خوفا وطمعاً للعلم بالمحو والاثبات * وبعد فقد تنبيت للتأمل فى هذه الرسالة اعنة الافكار * فرأيتها تشن الغارة بمحاسن ابحاثها على المسامع والابصار * اذ مدت باظهار الحق باعا * وأطلعت بارجاء الصواب شعاعا * واوضحت الدليل * وسلت كل مرهف صقيل * ودعت من تأمل بها ووعاها * وكشف النقاب عن حقية مدعاها * ان يكون بالخوف والرجاء لله تعالى متبتلا * عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا * للعالم الفاضل * والمتبحر الكامل * حاتمى زاده الشيخ محمد افندى ابن الشيخ يحيى افندى الموصلى لا زال به الفضل لدرجات المأمول يعتلى * فجزاه الله الخير عن جميل هذا الكسب والاختيار * وكتبنا واياه فى زمرة الصالحين الابرار * آمين

الفقير اليه تعالى خادم العلم الشريف
اطاسى زاده محمد طاهر

﴿ هذا التقريض للعالم الذى افتخرت به عشيرته * والزاهد ﴾
﴿ الذى صفا سرّه كما صفت سريرته * مدرس المدرسة الاحمدية ﴾
﴿ والعثمانية * فى حلب الشهباء المحمية * من افاد بعلمه الطلاب * ﴾
﴿ واراهم من تدقيقاته العجب العجاب * صاحب المكرمة * ﴾
﴿ حسين افندى الايوبى الكردى * لازال محفوظا من ﴾
﴿ كل مايوبى ويردى * ﴾

الحمدلله الذى علم الانسان مالم يعلم * وجعل العلم افضل حلية لبنى آدم * واتقن بالتعليم والتعلم نظام العالم * والصلاة والسلام على خير مرسل الى خير الامم * وعلى آله واصحابه نجوم الهدى وينابيع الحكم * اما بعد فان العلم صفة نوارنية * بها يحصل التوقى من الجهل والضلالة الدنيوية والاخروية * ولطيفة ربانية * بها يحصل الترقى الى غاية ما يمكن من الكمالات البشرية * وان علماء الشريعة والدين * اعلى الله درجاتهم الى اعلى العليين * لولا بذلوا جهدهم فى استنباط القواعد الشرعية * والاصول الدينية * وتدوين المذاهب الفقهية * والعلوم الآلية * لصار امر الدين والاحكام الآلهية * كما كان عليه فى ايام الجاهلية * ولم يوجد لمعرفة الحلال من الحرام * والاجتناب من الذنوب والآثام سبيل * ولذا ورد فى الخبر * عن سيد البشر * علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل * وان هذه الرسالة الموسومة بمفتاح السعادة * المنظومة فى سلك التنقيح والاجادة * للعالم التقى * والفاضل الزكى * الشيخ محمد افندى ابن الشيخ يحيى افندى الحاتمى الموصلى * قدحلت عقود معاقد العقائد * وجنت عنقود فرائد الفوائد * وجبت شتات شوارد الشواهد * وجاءت بتحقيق مايحقق طول الامل * من جواز التقدم والتأخر للاجل * مع التطبيق بين

ما تعارض فيه من الادلة * واستدركت فى بعض المشكلات على بعض الاجلة * فدلت بما ذكر من الاوصاف * لدى التأمل والانصاف * انها تستحق ان تطبع فى مطابع العقول والاذهان * وتسمع بمسامع القبول والاذعان * وان يقال فى حق مؤلفها مع انها نبذة من فضله * وعجالة من قوة فكره وعقله * انه من فضلاء هذا الزمان * واذكياء هذا الوقت والاوان * زاده الله فضلا وافاده * ورزقه السعد من مفتاح السعادة *

كتبه المفتقر الى عفو مولاه حسين عون الله من الاكراد الايوبية
مدرس المدرسة العثمانية والاحمدية بحلب الشهباء المحمية

﴿ هذا التقريض للشبل الذى تولد من برج الاسد * ومن افتخر به ﴾
﴿ الوالد بما ولد * فتشابه الاب والابن بماخص وعم * ومن يشابه ﴾
﴿ ابه فما ظلم * سابقا نائب المدينة المنورة * وخادم تلك الحظيرة ﴾
﴿ المطهره * صاحب المكرمة السيد محمد سعيد افندى فخرى زاده * ﴾
﴿ ومن تردى فى الطراز الاخضر من اثواب السيادة * لازال بعلمه ﴾
﴿ يهتدى * كما فى ابيه وجده يقتدى * ﴾

حمدا لمن كون الاشياء بمشيئته * وقدر ما كان وما سيكون بمقتضى حكمته * فلا يكون الا ما شاء * ولا يحدث الا ما سبق به القضاء * وصلاة وسلاما على من تكونت ذاته من نور * وتبسمت باشراق جماله العوالم بمباسم الثغور * وعلى آله واصحابه نجوم الهداية * الذين قمعوا بصوارمهم افئدة اهل الغواية * ماسبحت الاملاك * وتحركت الافلاك * اما بعد فلما سرحت آرام فكرى *

وارسلت هزار نظرى * فى هذه الرسالة الانيقة * المحتوية على معان رقيقه * التى الفت للتفرق بين القدرة والارادة والقضاء * وجمعت جميع ما تكلم به اهل التحقيق من العلماء * وجدتها روضة علم يانعة فائقه * ودوحة كمال زاهية رائقه * اعضان عباراتها قد تزينت باثمار معانيها * وسلسبيل كلماتها قد تسلل بسبك مبانيها * فشمتها بكراً قد سحبت اذيال فضائلها * لما حوته من تيه دلال محاسنها * مشعرة عن طول باع مؤلفها * فيالها من رسالة يحق ان ترقم بماء الذهب * فتكون تذكرة لاهل العلم والادب * كيف لا ومؤلفها العالم العامل * والحبر الكامل * الذى اقتطف ورد الادب بانامل الافكار * وتناول رياحين العلم بيد الاقتدار * حتى برع فى عنفوان شبابه وفاق * وحاز قصب السبق على الرفاق * وانى خبير بحال هذا الفاضل * وماحواه من اشتات الفضائل * منذ نشأ وترعرع * وفاق اقرانه وبرع * لمصاحبتى اياه مدة مديدة من الزمان * فحقيق بان يشار اليه بالبنان * اعنى جناب العالم الفاضل والمدقق الكامل * محمد افندى الحاتمى * شعار زاده الموصلى *

* اديب قد تحلى فى علوم * وافصح منطقا فى ذا الكلام *
* ففاق رفاقه فيها وابدى * لآلى الدر فى نظم الكلام *

لازال قطبا تدور عليه رحى الآداب * ومركزا لاستفادة الاصحاب والاتراب *

قاله بلسانه ونمقه ببنانه سابقا
نائب المدينة المنورة محمد سعيد
قاضى زاده الموصلى

﴿ هذا التقريض لفقيه زمانه * ونعمان اوانه * من التقط ﴾
﴿ الجواهر من معادنها * واللآلى من اماكنها * العالم الكامل ﴾
﴿ الاديب الفاضل * من هو بكل مدح لائق وحرى * جناب ﴾
﴿ نعمان افندى الجوهرى * لازالت جواهر منظوماته تزين ﴾
﴿ الاعناق * دائرة فى الاقطار والآفاق ﴾

﴿ شعر ﴾

رسالة يهتدى فيها المضل الى * نيل السعادة بالاحسان والكرم
وكيف لا والامام الحبر جاء بها * محمد موصل الانسان للنعم
الله عنا يكافيه بطول بقا * حتى يوصلنا للعلم بالحكم
بجاه خير الورى طه الحبيب لنا * صلى عليه اله الخلق والامم

﴿ بيتين آخرين ﴾

محو الشقاوة بالادلة ناطق * لكنما توضيحها مجهول
حتى وفاه محمد برسالة * عنا بها لقد انمحى تضليل

وكتب الفقير نعمان
الجوهرى

﴿ هذا التقريض لفاضل عصره * واديب مصره * من تعقد ﴾
﴿ على فضله الخناصر * وتفخر به الاواخر * الحسيب ﴾
﴿ النسيب * واللبيب الاريب * السيد محمد نسيب افندى ﴾
﴿ الحمصى * لازال مغمورا فى لطف الحميد المحصى ﴾

ان اسمى شجرة تغرس فى رياض الطاعات على التحقيق * واقوى اكسير لانقلاب المساوى محاسن لدى التدقيق * حمد بليغ قامت سواطع الحجج على اختصاصه بمن انفرد بالاعدام والايجاد * وتنزه

فى جلال ذاته وكمال صفاته عن شوائب النقائص والاضداد * فبرأ النسم * وكفى الامم * وخلق اللوح والقلم * لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها * مستوليا من غاية رفع منار الكائنات على اقصاها * مميطا عن وجوه خرائدها استار غياهب الغياب * كيف لا وقد قال سبحانه ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب * ثم قضى لكل من عباده اجلاً واجل مسمى عنده واحكم * فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولات ساعة مندم * وزواكى صلوات ونوامى تسليمات على العالم الكلى * والجوهر القدسى * محمد المبعوث هدى للانام مبشرا ونذيرا * وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * وعلى آله وصحبه مساطع شموس المعارف * ومطالع بدور العوارف * اما بعد فان من انور العلوم الى الهدى مشكاة ونبراسا * واعلاها فى بيداء التحقيق منارا واقواها اساسا * علم الكلام الذى تحل به عقائد العقائد * وتنفل به معضلات دقائق الفوائد * وان من درر مسائله التى عجزت عن دركها خواص الغوّاص * وشوارده التى شردت ولم تك بالقابلة للاقتناص * مسئلة الاجل والقضاء والقدر * التى تاهت فى مهمه منها الباب اولى الفكر * هل هو مبرم لا يتبدل او يقبل الازدياد والانتقاص * ولطالما توارد العلماء فى الاعصر السالفة * يحاولون الوصول اليها وهى سحيقة عنهم لهم مخالفة * فما زالت بكرا مخدرة خسيسة بالوصل * محجوبة عن بصائر اولى الفضل * حتى زفت وهى شمس فى عزتها على بدر المحاشد * سرّ المحامد عضد المواقف سعد المقاصد *

* اسد بضمار الحقائق محرز ال * قصبات مستول على اضرابه * معدّل ميزان المعقول والمنقول * اول من جنا من جنى اغصان الفروع والاصول * والامام المحقق * والنحرير المدقق * مولانا

(الشيخ)

الشيخ محمد افندى ابن الشيخ يحيي افندى الحاتمى الموصلى * ادام فضله وعلاه الفرد العلى * فنال منها ما نال * بعد الرتع فى جنات الوصال * وتصدى لتصويب الشان بعد ما اعوج بمقتضى مارأى * وانتصب لتقريب حق بها فى سماء العز نأى * مقتطفا من ازهار اشجار الحقائق رياها * مرتشفا من نقاوة سلافة كؤوس الدقائق حمياها * وشمر عن ساق الجد وحرر الكلام * واجاد ولله دره فيما افاد من المرام * وحقق ودقق وبالقبول اسمع * وحج كل بليغ تحدى واصقع * نعم قد سلك منهاجا بديعا فى كشف اسرار التحقيق * واستولى على الامد الاقصى من رفع منار التدقيق * واحرز ماصفا فابرز هذا الكتاب * واتى فيه بجوامع الكلم وفصل الخطاب * موردا ماجرى بين الاجلة عند الطراد فى مضمار المناظرة * وما افادوا بعد الاختبار بمسبار المفاكرة * مذيلا بما لاح له بعد ما قد تلألأ عن افق اليقين * وشهد بصحة لسان الحجج والبراهين * وسماه مفتاح السعادة * فى سعة العمر والرزق والزيادة * ولعمرى قد طابق الاسم المسمى * واستوى فى ادراك تلك البصير والاعمى * جزاه الله عنا وعن عامة العلماء بما هو اهله * واغدق ثغره من عيون التحقيق بما هو نهله * ولا زال شمسا فى سماء الفضل حوله اجزاء رشية من الفضلاء * متصاغرة لان بضدها تعرف الاشياء * فينعكس عنها اليهم الشعاع * مختلفة الوانهم وهم لها اتباع * او الفلك الاعظم تنتهى اليه جهات التحقيق * وتحدد به كما تنتمى اليه جهات التدقيق *

قاله بفمه وكتبه بقلمه السيد

محمد نسيب زين العابدين الحمصى

الحمد لله الذى طبع فى مرايا العقول صور جواهر المعانى * كما طبع فى سطور الطروس اشكال اصداف المبانى * ونشر مطويات دقائق العلوم * فى دفاتر حقائق افراد نوع الانسان * كما نشر اعلام اوراق الصحائف من مطابع الرسوم * فى سائر الاقطار والامصار والبلدان * اتقن بحكمته نظام العالم اكمل اتقان * ورقى بعنايته معارف عوارف ابن آدم * على ممرّ الايام والازمان * والصلاة والسلام الاتمان الاكملان * المتجددان المتواليان * على عين اعيان الانسان * وانسان عين الاعيان * ومنبع العلم والعرفان * ومطمح انتقاش صور تجليات الرحيم الرحمن * فى سجنجل تعينه الاول للعيان * سيدنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا ومولانا محمد الذى منه انتشرت حقائق المعارف * وبرزت مكنونات دقائق العوارف * وعلى آله الذين ملأوا صفائح صحائف المفاخر * ومفاخر صفائح الصحائف * من جلائل المناقب وعظائم المآثر * واصحابه الذين بيضوا وجه الزمان بما سوّدوا به صفحات الصحف والاوراق والدفاتر * اما بعد فقد من الله اللطيف الكريم الخبير * العليم المريد القدير * بجوده وكرمه واحسانه * وانعامه وفضله وامتنانه * على العبد الفقير الذليل الحقير * المحتاج الى عفوه وغفرانه ورضوانه * باكمال طبع هذه الرسالة الجليلة * الحسنة الجميلة * الموسومة بمفتاح السعادة * فى سعة العمر والرزق والزيادة * المشتملة على حقائق جمة * ودقائق مهمة * من مهمات علم الكلام * الذى حارت فيها العقول والافهام * وتاهت فى بيدائها الافكار والاوهام * كمسئلة محو الشقاوة والسعادة * والسعة فى العمر والرزق والزيادة * وكمسئلة حقيقة الايمان * وانه هل يقبل الزيادة والنقصان * وكمسئلة خلق افعال الانسان * وكتحقيق مسئلة القضاء والقدر *

(وغيرها)

وغيرها من المهمات المقتضية لدقة النظر * وقد جرت رقة هذا الطبع * فى انانيب حسن الوضع فى عنفوان ايام الزمان * واخضرار اغصانه * فى حدائق رياض سلطنة السلطان الاعظم * وابتهاج العصر والاوان وتبسم افنانه * بمباسم ثغور خلافة الخليفة الافخم * الذى ارتقت فى عصره المعارف * الى اقصى غاياتها * وتناهت فى وقته العوارف * حتى بلغت نهاياتها * فلم يبق احد الا وهو عارف * بحقائقها وماهياتها وهوياتها * رافع الوية الملة الاسلامية * الى اعلا مقام * وقائد جيوش الامة المحمدية * باشرف زمام * مجلى مظاهر اهل العلوم والعرفان * على منصة التشريف ومصداق ﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان ﴾ * فى كل معنى لطيف * الا وهو المفرد الذى ليس له مماثل ولامدانى * فخر النسب العثمانى * مولانا حضرة السلطان الغازى * والخاقان المغازى * ﴿ عبد الحميد ﴾ خان الثانى * ابد الله ملكه وايد سلطنته بالقرآن العظيم والسبع المثانى * وذلك فى الآستانة العلية * دار السلطنة السنية * فى المطبعة العثمانية * صانهمارب البرية * من شر كل آفة وبلية * فى اليوم الثالث والعشرين من شهر جمادى الآخرة المنتظم فى سلك السنة التاسعة بعد الثلاثمائة والالف * من هجرة منبع الشرف * صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم وعظم وكرم وشرف * والذى امتن على الفقير بطبعه * ونشر طى حسن وضعه * هو الفرد الذى زكت منه الاخلاق والطباع * واشتهر فضله فى الآفاق والبقاع * وشاع وذاع * حتى ملأ الاسماع * مورد اهل الفضل والتقى * ومصدر اهل العلم والنقى * صاحب العطف والعطوفة * والشمائل الشريفة * حضرة سعدى بك افندى حفظه الله المعيد المبدى * من كل مايردى * وذلك بالتزام منشئها الفقير * لتصحيحها بعد تصحيح العلماء

المصححين * وامعان نظر مؤلفها الحقير * فيها غب تدقيق الفضلاء
المدققين * نسأل الله النفع بها لى ولاخوانى المسلمين * آمين وصلى
الله على محمد وآله وصحبه اجمعين * وسلام على
المرسلين * والحمد لله رب العالمين *

obeikandl.com